فضاءات ثقافية

في العدل والتاريخ والإعلام

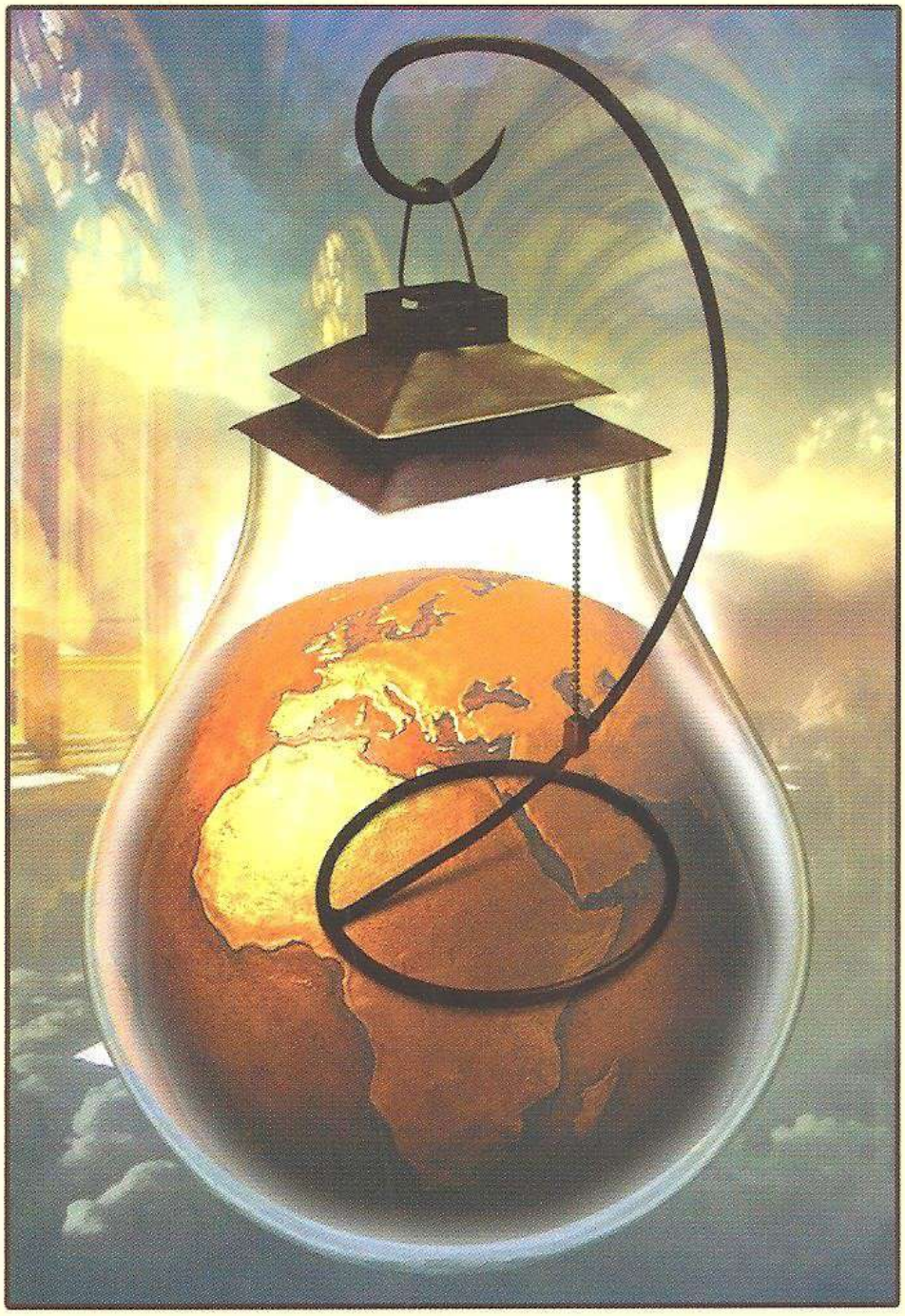

أ. د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمري

فضاءات ثقافية

في العدل والتاريخ والإعلام

فضاءات ثقافية

في العدل والتاريخ والإعلام

أ . د . عبد العزيز بن إبراهيم العُمري
عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية [سابقاً]

ح
عبد العزيز بن إبراهيم العُمري، ١٤٣٠هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد أثناء النشر
العُمري، عبدالعزيز بن إبراهيم
فضاءات ثقافية في العدل والتاريخ والإعلام./ عبد العزيز بن إبراهيم العُمري. -
الرياض ١٤٣٠هـ
٢٥٢ص، ١٤×٢١سم
ردمك: ١ - ٣٠١٠ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١- المقالات العربية - السعودية أ. العنوان
ديوي ٠٨١,٥٣٠ ١٤٣٠/٩٢٤

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٩٢٤ ردمك: ١ - ٣٠١٠ - ٠٠ - ٦٠٣

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م

حقوق الطباعة والنشر محفوظة للمؤلف

ص.ب: ١٠٠٤٣٧ الرياض: ١١٦٣٥
هاتف: ٢٧٤٦٦٧٧ - ٢٧٤٦٦٨٨، فاكس: ٢٧٥٩٠٢٠
البريد الالكتروني: Azizomary@hotmail.com

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ(فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من المؤلف.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقالات المنشورة في هذا الكتاب، سبق نشرها متفرقة في عدد من الصحف والمجلات السعودية والعربية في الفترة ما بين عام ١٤١٤هـ وعام ١٤٣٠هـ.

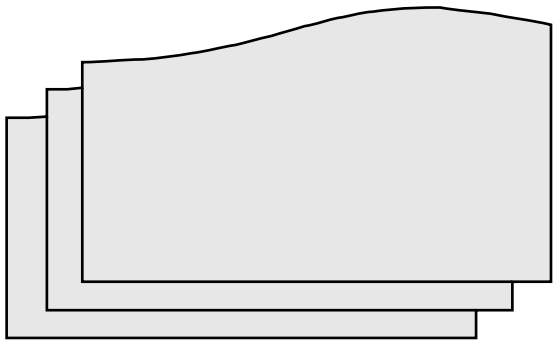

إ هـــــــد ا ء

إلى من يدرك معنى قوله تعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ الآية (١١٠) [آل عمران]، أهدي هذه المقالات،،،

قائمة المحتويات

الموضـــــــوع الصفحة

المقدمة:..... ١١
عدل: ١٢
الإسلام وحقوق الإنسان..... ١٤
أوضاع المسلمين..... ٢٤
ثقافة وإعلام:..... ٣١
البث الإسلامي..... ٣٢
الفن: الإبداع عندهم والإبداع عندنا..... ٣٦
المسلسلات التاريخية..... ٤٠
أين نحن وهم؟!..... ٤٣
الجمعيات العلمية بين العرب والغرب..... ٤٦
الأيدز وعالمه..... ٤٩
اللغة مفتاح الحضارة..... ٥٤
أوائل الأوائل..... ٥٨
علمية وعملية..... ٦١
تشويه الإسلام..... ٦٣

الموضـــــــوع	الصفحة
مناسبات:.....	٦٧
الغرب واحتلال الكويت.....	٦٨
قصيدة الكويت.....	٧٣
تدنيس القرآن.....	٧٥
تسليمة رشدي.....	٧٩
كيف الحال.....	٨٣
همس الخليج.....	٨٧
نحورنا دون نحرك يا رسول الله.....	٩٢
نحن نحب المسيح ولو كرهتم محمداً ﷺ	٩٨
الحج والتراحم.....	١٠٨
دعوة الجاليات في المملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين.....	١١٢
تاريخ:.....	١٥٩
حجة الرسول ﷺ	١٦٠
رمضان في التاريخ.....	١٦٤
ضحايا صلاح الدين في عيد المسلمين.....	١٧٣
فتح مكَّة والرحمة.....	١٧٦
الهجـــــــــرة والعـــــــــبرة(١)، (٢)	١٨٢

.....

الموضـــــــوع	الصفحة
غزوة بدر.....	١٩١
غزوة أحد.....	٢٠٣
نـــور الـــدين محمـــود بطـــل الجهـــاد ضـــد الصليبيين.....	٢١٢
فلسطين:.....	٢١٩
قتل السجود والتفرج المعهود.....	٢٢٠
فلسطين واحتلال الكويت.....	٢٢٤
صلاح الدين والتطهير.....	٢٢٩
مقتل رابين والبعد الإسرائيلي.....	٢٣٦

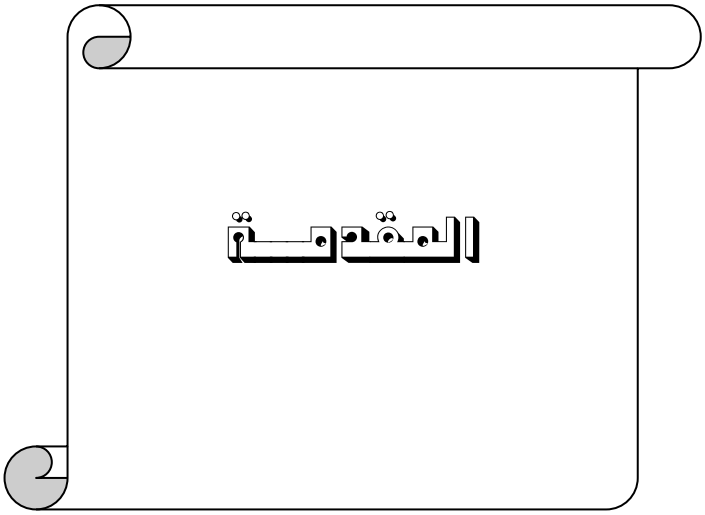
المقدمة

الُمقـدِّمَة

الحمد لله الذي علمَّ بالقلم علمَّ الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على مُعلِّم البشرية الهدى السراج المنير، وعلى آله الطيبين وأصحابه الميامين، ومن سار على طريقهم إلى يوم الدين، وبعد؛

فعالمنا الإسلامي واسع بتاريخه وتراثه، مترام بأطرافه وشعوبه وإمكاناته، يعج بالأحداث الماضية والحاضرة، منها المفرح ومنها المحزن المبكي، لا يسع الكاتب إلا أن يغوص فيها، ويتعمق في تاريخها وجذورها، ويكون له رأي فيما يرى من أحداث تجري واقعًا يفرض نفسه على العالم الإسلامي، وبالتالي يفرض نفسه على قلم الكاتب، وهذه مجموعة من المقالات المختلفة كتبت في أوقات متفرقة تخص قضايا إسلامية عامة تراثية وتاريخية معاصرة أو مرتبة بأحداث خاصة نشرتها في أوعية متفرقة، تطرقت لقضايا إسلامية عامة تهم المسلمين وعلومهم، وتراثهم، وبلدانهم، وشعوبهم، وما يرتبط بهم من واقع معاش وأحداث مختلفة، وقد تضمنت تلك المقالات:

ما يرتبط بحقوق الإنسان في الإسلام، وموضوعات الفن الإسلامي، والمسلسلات التاريخية، والإعلام الإسلامي، كما تطرق بعضها إلى استهداف الإسلام كالتعرض للرسول ﷺ من بعض المنتسبين للإسلام بدعم وتأييد غربي، أو من الغرب في رسوم الكاريكاتير وما شابهها، والتعرض للقرآن وتدنيسه كما حصل في (غوانتنامو)، وتطرقت عدة مقالات لقضية القدس وفلسطين وجذورها التاريخية منذ أيام صلاح الدين، وارتبط بها بعض المقالات الأخرى منها قتل المسلمين في مسجد الخليل، وقتل إسحاق رابين والإرهاب اليهودي ضد اليهود، إضافة إلى بعض الأحداث التاريخية الإسلامية التي اجتهدت في جمعها وإعادة نشرها ورأيت من وجهة نظري إنها تعالج قضايا مفيدة، فآثرت نشرها في كتاب واحد، عسى الله أن ينفعني والقارئ بها، والله المستعان.

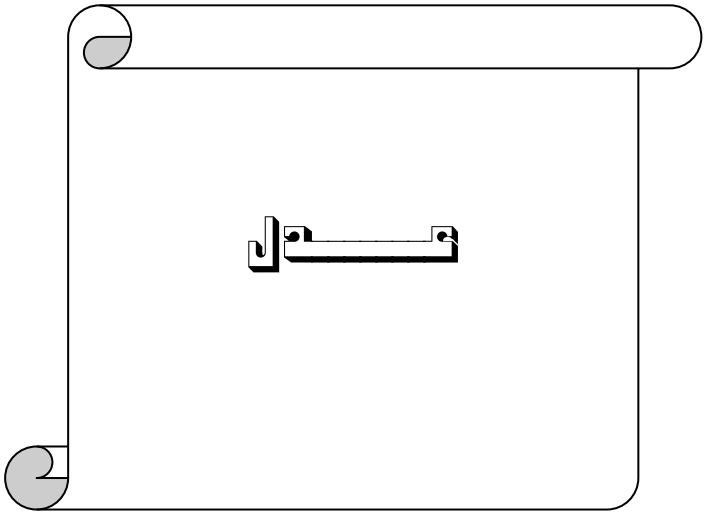
فصل

الإسلام وحقوق الإنسان

يكثر الحديث عن حقوق الإنسان، وتنتشر الجمعيات المختلفة في أنحاء العالم حيث نجد لتقاريرها أصداء واسعة، وتحسب لها الحكومات ألف حساب ونحن نتساءل ما هو هذا الإنسان، وما هي حقوقه، وما نظرة الإسلام إليها؟ وما موقعه من هذا الكون؟، فالإنسان في نظر الإسلام مخلوق متميز كرَّمه الله وفضله على خلقه وسخرهم له إن هو وعى ذلك ولم يعص الله ويفسد.

ويحدثنا القرآن عن بداية خلق الإنسان بوحي من الخالق سبحانه وتعالى فيقول: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ۞ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾.[1]

---

(١) **سورة البقرة**، الآيات: (٣٠)، (٣١)، (٣٢).

فـاللّه هـو الـذي علَّـم آدم وهـذا تكـريم ظـاهر جعلـه خليفـة في الأرض، كما أن اللّه كرَّم ابن آدم حيث خلقه وصوره في أحسن صوره.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾،[٢] ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾.[٣] كما أكرمه اللّه بأن نفخ فيه من روحه وطلب من الملائكة أن يسجدوا له ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾.[٤]

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾.[٥]

كما أن اللّه سخرَّ الكون والإنسان وأكثر له النعم التي لا تحصى ﴿اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَار ۞ وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾.[٦]

---

(١) **سورة التين**: الآية: (٤).
(٢) **سورة التغابن**، الآية: (٣).
(٣) **سورة ص**، الآية: (٧١)، (٧٢).
(٤) **سورة الإسراء**، الآية: (٧٠).
(٥) **سورة إبراهيم**، الآية: (٣٢)، (٣٣).

بل إن الله سخر للإنسان ما في السموات والأرض وهذا مبلغ التكريم والنعمة حيث يقول: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾.(٧)

ويقول تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**﴾.(٨)

فإذا كان الله قد سخر هذه المخلوقات وهذا الكون للإنسان فلا يجوز له أن يصرف شيئًا من العبادة لها لأنها جميعًا مسخرة له، وإنما الأحق بالعبادة هو خالقها وخالقه ومسخرها له، ولذلك جاءت الأديان السماوية كلها بتوحيد العبادة للخالق تبارك وتعالى وجاء خاتم النبيين محمد ﷺ ليعيد الإنسانية إلى التكريم بتوحيد الله، لأنه سبحانه وتعالى قريب للإنسان لا يحتاج إلى واسطة، ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾،(٩) ومن كرامة الله للإنسان أنه أمره بالسعي والعمل لطاعة الله، وأنه مسؤول عما يفعل، قال تعالى: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ** ﴾(١٠) وقال:

---

(١) **سورة الجاثية**، الآية: (١٣).
(٢) **سورة لقمان**، الآية: (٢٠).
(٣) **سورة البقرة**، الآية: (١٨٦).
(٤) **سورة المدثر**، الآية: (٣٨).

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.(١١)

بخلاف الديانات الأخرى التي حرفها الناس كالنصرانية التي حملت الناس الخطيئة الأولى كما يزعمون، فجعلت من خطيئة آدم وحواء خطيئة لعامة الناس، وأنهم سيهلكون وسيحرقون في النار بسبب هذه الخطيئة لولا النجاة على يد المسيح، الذي عُذّب وقُتل وصُلب بزعمهم ليُكفِّر عن خطايا الناس، فما دخل الناس بذنب لم يقترفوه، وما ذنب المسيح يعذب ويصلب بذنب غيره، أوليس الله تعالى قادر على أن يكفر ذنوب الناس دون صلب ابنه كما يزعمون، فهذه عقيدة مبنية على الظلم أصلاً وابتداءً. ظلم للناس بتحميلهم خطايا غيرهم، وظلم لعيسى عليه السلام بتحميله خطايا الناس وخطيئة آدم، ثم أين موقع الناس الذين ماتوا قبل عيسى وقبل صلبه من يخلصهم من الخطيئة ومن ينجيهم من النار، إنها أشياء لا تصدق، ولذلك قال القبطي المصري نظمي لوقا في أحد كتبه: (لا أنسى ما ركبني صغيرًا من فزع وهول من جراء تلك الخطيئة الأولى، وما سيقت فيه من سياق مروع يقترن بوصف جهنم ذلك الوصف المخيف لمخيلة الأطفال، وكيف تتجدد فيها الجلود كلما تعرضت للنيران جزاءًا وفاقًا على خطيئة آدم بإيعاز

(١) **سورة الزلزلة**، الآية: (٧)، (٨).

من حواء وأنه لولا النجاة على يد المسيح الذي فدى البشر بدمه الطهور لكان مصير البشرية كلها الهلاك. ثم يقول: ولا أنسى القلق الذي ساورني وشغل خاطري عن ملايين البشر قبل المسيح أين هم وما ذنبهم حتى يهلكوا بغير فرصة للنجاة ـ لأنهم لم يؤمنوا به ـ)[١٢].

ولنعد إلى حقوق الإنسان في الإسلام، فقبل أن تسمع الدنيا بحقوق الإنسان بأكثر من ثلاثة عشر قرنًا جاء الإسلام ليقرر على الإنسان واجبات ويعطيه حقوقًا مختلفة.

فمن ذلك حق الإنسان في الحياة فلا يستطيع أحد أن يسلب أحدًا الحياة دون مبرر شرعي، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ**﴾،[١٣] ﴿**وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءًا كَبِيرًا**﴾.[١٤] هؤلاء أولاد الإنسان الذين يمن عليهم، فما بالكم بالناس الآخرين، ولذلك كان القصاص في القتل حفظًا لحياة الإنسان لا اعتداءً عليه كما تزعم بعض جمعيات حقوق الإنسان، فلحفظ دم المقتول وحقوقه كإنسان يقتل القاتل، وبذلك تتجنب المجتمعات البشرية

---

(١) انظر: نظمي لوقا في كتاب "**محمد الرسالة والرسول**".
(٢) **سورة التكوير**، الآية: (٨)، (٩).
(٣) **سورة الإسراء**، الآية: (٣١).

المزيد من القتل بإقامة الحد على القاتل، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى**﴾[١٥]. وقال: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾،[١٦] فالله حرم القتل، وأوجب القتل أحيانًا، وجعل الأمر خاضعًا للعفو أحيانًا أخرى وهذا من حُكمه وحكمته.

ونحن نرى دعوات جديدة تردد في أمريكا وغيرها من دول الغرب تدعو لإيقاع عقوبة القتل في المجرمين في وقت نراهم يتهمون الإسلام بالقسوة لوجود هذه العقوبة بحق من يستحقونها بعد المحاكمة.

ومن حقوق الإنسان الكرامة وحفظ العرض وكان الرسول ﷺ يقول في خطبة حجة الوداع: ((إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام)).[١٧] فلا يجوز أن يهان أحد ولا أن يعتدى عليه بقول مؤذي يجرحه ويهين كرامته.

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا**

---

(١) **سورة البقرة**، الآية: (١٧٨).
(٢) **سورة البقرة**، الآية: (١٧٩).
(٣) انظر: **سيرة ابن هشام**، (حجة الوداع ـ خطبة الوداع).

﴿أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾.[١٨]

كما جعل الله الجلد حدًا للقذف، للذين يرمون المحصنات في أعراضهن.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.[١٩]

ففي هذه العقوبة حفظًا لحقوق أناس آخرين في حماية أعراضهم وليست إيذاءً بدنيًا مجردًا كما تزعم جمعيات حقوق الإنسان، فأين حق الإنسان المعتدى عليه، فالعرض والسمعة أهم من جلدات معدودة ينتهي أمرها في دقائق بينما السمعة للعمر كاملاً.

ومن حقوق الإنسان التي أقام لها الإسلام اعتبارًا مهمًا:

حفظ نسبه وبه حفظ للمجتمع كله، ولذلك فإن عقوبة الزنا المقررة في الشريعة الإسلامية إنما هي لحفظ الناس جميعًا، فما ينتج عن الزنا من اختلاط الأنساب وشك الإنسان بنفسه وبأولاده أعظم من أي شيء، وما ينتج عنه من أمراض عظيمة تشاهد في المجتمعات الغربية أعظم وأعظم، ولذلك قال ﷺ: ((لم تظهر

---

(٤) **سورة الحجرات**، الآية: (١١).

(١) **سورة النور**، الآية: (٤).

الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن قضت في أسلافهم الذين مضوا))،[٢٠] ومرض الأيدز واحد منها بل إن كثيرًا من أهل الفاحشة ومن أهل المجون هم الذين يقدمون على القتل وغيره من الجرائم، نتيجة الأمراض النفسية التي تصيبهم بسبب الفحش والزنا وكثرة العلاقات الجنسية، ولعلكم تشاهدون ذلك واقعًا ملموسًا في المجتمع الأمريكي وغيره من المجتمعات الغربية، كما ينتج من الزنا أولاد حرموا حق الأبوة والعيش في أسرة آمنة أعظم جريمة في حق هؤلاء المواليد الذين نرى كثرتهم في المجتمعات المنحلة، وما أصاب كرامتهم وحقهم قبل ولادتهم حين ظلموا أو ولدوا لآباء مجهولين نتيجة الزنا.

ومن حقوق الإنسان التي أقرها الإسلام (حق الكفاية في العيش).

ولذلك نظم الإسلام النفقة على النفس والأولاد والأقارب المحتاجين، كما قررها على بيت مال المسلمين إن لم يجد الإنسان من ينفق عليه وكان محتاجًا. في الوقت الذي حث فيه على العمل والإنتاج للاستغناء عن الآخرين وكفاية النفس، كما جعل

---

(٢) رواه **ابن ماجه**، كتاب الفتن، باب العقوبات.

للفقراء حقوقًا في أموال الأغنياء بالزكاة والصدقة وغيرها.

ومن حقوق الإنسان في الإسلام (المساواة).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.(٢١)

وقال ﷺ: ((يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، خيركم عند الله أتقاكم)) (٢٢) فالإسلام ليس فيه رجال دين وكهنوت وعامة إنما هم سواء أمام الله سبحانه وتعالى، الناس كلهم لآدم وآدم من تراب كما قال ﷺ.

ومن أهم نتائج ذلك المساواة أمام الأحكام والنظام، أعني المساواة أمام الأحكام الشرعية وحقوقها وما فيها من عقوبات. قال ﷺ: ((وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد ﷺ سرقت لقطع محمد يدها)) (٢٣)، إذ ليس في الإسلام حصانة أمام النظام والقضاء لأيٍ

---

(١) **سورة الحجرات**، الآية: (١٣).

(٢) رواه **البخاري**، كتاب المناقب، باب قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى﴾**.

(٣) رواه **البخاري في صحيحه**، باب الحدود، كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان.

كان ولذلك كان الخلفاء الراشدون يمثلون أمام القضاء ويحكم عليهم أحيانًا.

ومن حقوق الإنسان في الإسلام حفظ عقله ولذلك حرَّم الله الخمر وما شاكلها من مغيبات عقل الإنسان والتي تسهم في الاعتداء على حقوق الإنسان وحقوق الناس الآخرين ولذلك حرم الخمر.

أوضاع المسلمين

لقد عشت في أمريكا ما يقرب من أربع سنوات متواصلة كنت خلالها محللاً لكثير من الأوضاع، ومقارنًا فيها أوضاع بلاد المسلمين بواقعهم الحالي والسيئ في الغالب، وكنت خلال ذلك أذهب ببصري بعيدًا في أعماق التاريخ، متصورًا حال المسلمين في أيام عزهم ومجدهم ومآلهم الآن والفرق بين ذلك، وكنت من خلال ذلك كله أنظر إلى المبادئ التي كانت عليها الأمة والتي تخلت عنها الآن، وأربط ذلك بمجال الانحدار الذي هي عليه، وفي نفس الوقت أقارن بين الغرب وخصوصًا أمريكا، والمبادئ التي تسود عليها وتاريخهم وأصلهم الذي ينتمون إليه ويرتبطون به بل ويفخرون به كرعاةٍ للبقر، وحالنا نحن المسلمون وما كنا عليه وما ينبغي أن نكون عليه كدعاة للبشر وليس للبقر، ومن خلال تلك الوقفات والتأملات كنت ازداد ألمًا لحالنا التي نحن عليها،

حيث إن معظمنا ـ مع الأسف ـ أفرادًا ودولاً أصبحنا بقرًا في قطعان رعاة البقر نساق إلى المرعى والى الذبح أحيانًا ، أو إلى الحلب في أحسن الأحوال. وإني أسأل عن مبادئنا وأصلنا وما نحن عليه سابقًا وأقارنها مرة أخرى بما هو عليه لكي أعزّي نفسي، وأجعلها في طابور دعاة البشر والأمثلة على ذلك من تاريخنا كثيرة.

ولننظر إلى تاريخ رعاة البقر في أول وصولهم لأمريكا فنحن نرى أنهم قاموا بقتل وذبح وتشريد أهل البلد الأصليين من الهنود الحمر ولم يتركوهم ليعيشوا مجرد العيش بل كانوا يفسدون ويحرقون ويقتلون كل ما يمكن أن يقتات منه الهنود الحمر لكي يميتوهم جوعًا ، كما أثبتت الدراسات إنهم كانوا إلى وقت قريب ينشرون بينهم الأمراض المختلفة عن طريق البطانيات أحيانًا وعن طريق ما يأكل ويشرب لا لشيء إلاَّ لأجل أن يقضوا عليهم في الوقت الذي فتحوا فيه أبواب الهجرة لأعداد كبيرة من الأوربيين.

وفي نفس هذه الفترة أو بعدها بقليل نجد إنهم قد بدأوا يختطفون الرقيق من عائلاتهم وأسرهم في أفريقيا ويحضرونهم إلى العالم الجديد في أمريكا مقيدين بالسلاسل والأغلال موضوعين في الحظائر أو السفن التي تحملهم لكي يقوموا بتعذيبهم وتشغيلهم غصبًا عنهم وقتل من يعصي الأوامر منهم هكذا كانت بداياتهم ومن لم يصدق فليرجع إلى قصص الرقيق في المناطق

والمكتبات القومية في أمريكا أو ليزر بعض العائلات من الأفروأمريكان ليطلع على عمق المأساة التي عاشوها في تلك المحنة من الشعوب الأوربية وغيرها فأي ظلم بعد الظلم.

ولأعود بكم مرة أخرى إلى دعاة البشر وهم آباء المسلمين جميعًا لنرى ما عندهم ولن أُفصَّل لكم في هذا الجانب بل سأنقل لكم ما كانوا يعرضون على أهل البلاد المفتوحة فهذا ربعي بن عامر حينما ذهب ليقابل كسرى على رأس وفد من المسلمين دار بينه وبين كسرى حوار قال فيه كسرى: ما الذي جاء بكم فرد عليه ربعي بن عامر: أن الله ابتعثنا وجاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه.(٢٤)

وأما صفتهم كما قال عنهم الرومي الذي اندس بينهم ووصفهم لقائد الروم قائلاً: "هم بالليل رهبان وبالنهار فرسان لو سرق ابن ملكهم قطعوه ولو زنى رجموه لإقامة الحق فيهم".(٢٥)

هكذا عرفهم أعدائهم بأنهم دعاة حق وعدل.

---

(١) انظر: **تاريخ الطبري**، ج ٤، ص ١٦٤.
(٢) انظر: الأزدي، **فتوح الشام**، ص ١١.

وكذلك فإن أهل حمص وهم من الروم ألحوا على أبي عبيدة ابن الجراح أن يبقى في حمص وأن يشاركوه في حرب الروم والدفاع عن حمص رغم أنهم من بني جلدتهم ومن قومهم وذلك لعلمهم بعدل المسلمين وإنصافهم، ثم لنرى ما الذي تركه الفاتحون من المسلمين في تلك البلاد و لقد تركوا الأخلاق العالية والفضائل التي أكسبوها لأهل تلك البلاد وعلموهم الفضيلة والفقه وقارنوا ما تركه المسلمون منذ أربعة عشر قرنًا في الشام ومصر وغيرها، وما أثروا به على تلك البلاد من تأثيرات مختلفة، بما تركه الغرب وخصوصًا رعاة البقر في الفلبين وتايلاند وكوريا وفيتنام وألمانيا وغيرها لقد تركوا في جميع البلاد التي أقاموا فيها البارات والحانات ومحلات الدعارة والزنا وأمراض الأيدز وأولاد الحرام بما لم يشهد له العالم مثيلاً.

ولأنقلكم إلى جانب آخر من الفوارق بين دعاة البشر ورعاة البقر والتي كنت حقيقة أحس بها، فرغم ما يدعيه الغربيون من حرية وديمقراطية وعدل في مجال التشريعات إلاَّ أن واقعهم وتاريخهم يخالف ذلك، فالمُشرّع عندهم هو الإنسان وليس له حد في تشريعه، ولذلك فقوانينهم وتشريعاتهم متقلبة ومختلفة من زمن لأخر فقد كانوا في القرن الماضي يقومون بإعدام وقتل لصوص الماشية فأرواحهم أرخص من الماشية نفسها، وأما الآن فإن من

يقتل إنسانًا بل أناسٌ كثيرون فإنه يوضع في السجن آكلاً شاربًا، بينما في الإسلام نرى أن المُشرِّع هو الله سبحانه وتعالى وإن شرعه ونظامه هو ثابت لا يتغير حسب الهوى والتصويت، وإنما هو دائم. وفي اعتقاد المسلمين جميعًا أن الله هو الخالق وهو أعلم بما يصلح لهم، ولذلك فمن يعتدي على حياة الإنسان أحيانًا ثم يجعل الإنسان مرة أخرى أغلى من حياة أناس كثر، وذلك في تذبذب حسب أهواء الناس وآرائهم.

وموضوع أخر يتعلق بالجمال والفن عند رعاة البقر ودعاة البشر فأمة الإسلام ولا شك مرت بمراحل من مراحل الترف جعلتها تلتفت إلى الكثير من أمور الفن وزينة المسلم بطبيعة حب الجمال ومظاهره، ولذلك إذا قارنت مفهوم الفن والجمال بين الطرفين نجد الفرق شاسعًا فالفن عند الغربيين يتمثل في أنواع عديدة منها النحت والتصوير مثلاً والذي يركز على المخلوقات بل على البشر أكثر من غيرهم وبأشكال داعرة وعارية وبعيدة عن الحياء في كثير من الأحيان ومن لم يصدق ذلك فليزر دور العرض والمتاحف والتي تستمد فنها من وثنية أوربا القديمة.

بينما نجد أن الظاهرة الجمالية عند المسلمين في الزخرفة والنحت تدور حول الطبيعة البريئة كالورود والأزهار والزخرفة والحروف والأشكال وكل ما يخدم عقيدة التوحيد ويبعد

الإنسان عن تقديس المخلوقات ولذلك كرهوا التماثيل والصور التي حرمها الإسلام عليهم.

كما إنك تجد عند الغربيين ومن يقلدهم الاهتمام بالمسرح والتمثيل وغير ذلك من الخيالات الكاذبة التي تستغرق جهودهم لاختراع أحداث غير واقعية.

فيما نجد عند المسلمين من تاريخهم الحضاري الاهتمام بالمستشفيات والمدارس والمكتبات والأوقاف النافعة ومن شاء فلينظر إلى المناطق الأثرية في القاهرة ودمشق ولذلك فلا مجال للباطل والخرافات والأوهام عند المسلمين في تلك الأيام ومن يسير على دربهم.

وقد يقول قائل إن رعاة البقر الآن أكثر من غيرهم تقدمًا وسبقًا في التنظيم واستغلال الطاقات، أقول نعم حقًا هم في هذه الأيام أكثر تنظيمًا ودقة بل واحترامًا للناس ليس لأنهم هم الأفضل بل لأن الأفضل وهم دعاة البشر تواروا عن الأنظار وابتعدوا عن تعاليم دينهم التي تدعوهم إلى الريادة والقيادة وأصحبوا مجرد أرقام ورعايا عند رعاة البقر دون أن يتفكروا في قول عمر ﷺ: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما نبتغي العزة بدونه يذلنا الله". أفلا يجدر بنا بعد ذلك أن نعرف أنفسنا وأصلنا

وتاريخنا ونطبق ما كنا عليه بدلاً من التقليد ونسعى لقيادة البشرية مرة أخرى بدلاً من أن نكون في الذيل منها، ولماذا يغتر كثير ممن يزورون تلك البلدان ويعجبون بها وبحضارتنا دون مقياس واعي ومنطقي لخلفياتها ومكوناتها ثم لماذا يحتقر المسلمون أنفسهم وتراثهم حينما يسوء واقعهم مع أن بإمكانهم السعي لتحسين أحوالهم بدلاً من الجري وراء الآخرين وإن كان هناك جري وتقليد فليكن في الأمور النافعة للإنسان مما عُرف عند هؤلاء الذين لا يمكننا تجاهل دورهم في القوة والتنظيم، وكلٌ يتحمل مسؤوليته بما يستطيع، والله المستعان.

❁❁❁

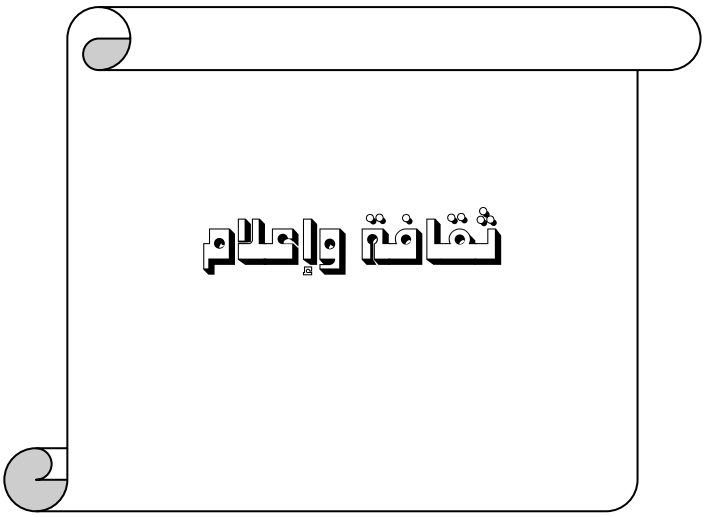
ثقافة وإعلام

البث الإسلامي

تنتشر في العالم دون استثناء موجة الاستقبال التلفزيوني الفضائي، حيث يشاهد الناس عبر أقراص خاصة المئات من القنوات التلفزيونية العالمية المختلفة، وبلادنا واحدة من بلدان العالم المتأثرة بهذه الموجة، التي تحدث عنها العلماء والمفكرون بإسهاب شديد، بين محذر ومتساهل، إلى غير ذلك من الآراء المختلفة حول هذه القضية، وقد حدثني من أثق به أن بعض من يتتبعون تلك القنوات في مدينة الرياض مثلاً يستطيع أن يشاهد ما يزيد على أربعمائة قناة تلفزيونية بمختلف اللغات العالمية، منها ما هو مخصص لبرامج معينة كالرياضة أو الغناء أو الرقص أو الكنائس أو الأخبار أو غير ذلك من التخصصات التلفزيونية.

وقال لي رجل آخر لديه شيء من الشعور بالمسؤولية أنني حينما فتحت الجهاز لأول مرة بكيت، فقلت: وما الذي أبكاك؟ قال

شاهدت ما يزيد على ثلاثين محطة تلفزيونية كلها أما تغني أو ترقص أو تبث ما لا فائدة فيه، وبحثت لعلي أجد قناة واحدة من تلك القنوات تبث شيئًا عن الإسلام موجه إلى العالم باللغات العالمية فلم أكد أجد شيئًا، ومما زاد من ألمي وحسرتي أنني وجدت ما يزيد على خمسين محطة كنسية متخصصة تبث بلغات مختلفة حول العالم كما وجدت محطات أخرى تبث عن ديانات شرق آسيا من بوذية وهندوسية، وغيرها، إضافة إلى ما يبث لعبدة الفن والرذيلة من رقص وغناء ماجن.

وتذكرت حين سمعت حديث صاحبي كم في العالم من المسلمين الذين لديهم مثل وسائل الاستقبال هذه ويتمنون أن يروا برامج دينية تناسبهم، وكم من غير المسلمين من هم بحاجة إلى توضيح الصورة الصحيحة لهم عن الإسلام وقيادتهم إلى هديه وتعاليمه.

وأذكر حينما كنت مقيمًا في الولايات المتحدة الأمريكية أوائل التسعينات الميلادية، أنه كانت هناك قناة تلفزيونية عربية، كان الناس لا يعرفون عنها في رمضان سوى الرقص والغناء من برامج نيلي وأمثالها، وبعض البرامج التي تحاول بها إرضاء بعض الناس متناسية في كثير من الأحيان رب الناس. إضافة لما تبثه من برامج الكنائس العربية بشكل دائم هناك، ومع هذا كله فقد

قامت في العشر الأواخر من رمضان بتسجيل صلاة التراويح من المسجد الحرام ونقلتها في وقت متأخر من الليل فشكر المسلمون ذلك وأصبح بعض منهم ينتظر حتى الوقت المتأخر من الليل، ليستمع إلى قراءة أئمة الحرم وليملأ عينيه من منظر المسلمين وهم يصلون خلف الإمام في الحرم، ولا يعرف مكانة ذلك عند المسلمين المغتربين سوى من عاش عيشتهم، وابتعد عن بلاد الحرمين.

وإنني من هذا المنطلق أحس أنه من واجب المسلمين أن توجد قنوات دينية متخصصة تبث الدين الإسلامي إلى العالم بلغاته المختلفة، من خلال المحطات الفضائية عبر الأقمار الصناعية، وأن يكون هذا العمل همًا رسميًا وشعبيًا تقوم به المؤسسات الإعلامية الدعوية على حد سواء وأن لا نتأخر في ذلك، وبلاد الحرمين هي أولى البلدان في حمل هذه المسؤولية فهي قبلة المسلمين مهبط الوحي، ويوجد بها ـ ولله الحمد ـ من الخبرات والقدرات ما يمكن أن يغطي هذا الجانب وإني لأطمع أن تكون هناك محطات عديدة وبلغات مختلفة لتقوم بهذا الدور الذي يعتبر فريضة في هذا الزمان الذي حاول فيه صوت الباطل أن يطغى على صوت الحق، وقد سمعنا قبل فترة أن حكومة خادم الحرمين تُولي هذا الأمر عناية خاصة، وبالمناسبة فإننا نستحث المسؤولين في الإعلام

على سرعة إنجاز ذلك وأن تكون برامج هذه القناة أو القنوات المتوقعة ـ بإذن الله ـ برامج إسلامية خالصة، موجهة للمسلمين وغير المسلمين كما أن الجمعيات الدعوية يمكن أن تساهم في هذا الجانب خصوصًا إذا علمنا أن أسعار البث في القنوات الفضائية الشرقية كالقنوات الروسية مثلاً، رخيصة جدًا مقارنة بالقنوات الغربية، وإني أتطلع إلى اليوم الذي نرى فيه مثل هذه القنوات تنطلق من بلادنا ومن بلاد إسلامية أخرى لتساهم في إرشاد الناس إلى الحق ودلالتهم على الهدى لا على الردى، والله المستعان وعليه التكلان.

❁❁❁

الفن: الإبداع عندهم والإبداع عندنا

من المعروف أن المجتمعات البشرية عمومًا لها فنها وتراثها، وبالتالي فإن أي مجتمع يصنع فنًا أو ينتجه لا بد أن يكون معبرًا عنه وينطلق من واقعه، والمطلع على الفن في العالم العربي وما ينتج منه يجد أن الشخصية العربية ممسوخة في تلك الأعمال وأن الإنتاج عمومًا موجه للسخرية من تلك الشخصية بطريقة أو أخرى فما ينتج هو في غالبه تقليدًا أعمى لما عند الغرب دون وعي لخلفيات الغرب في فنه وأسباب ما ينتجه وهذا التقليد يأتي بأسوأ مما عند الغرب، فمن المعروف للجميع مثلاً إن الغناء في المجتمعات العربية مرفوض وغريب بشكله الحالي فلا الدين يقره ولا شيم العرب تقره كذلك، بينما نجد إن الغناء في الغرب جزء من حياتهم وتراثهم بل أنه جزء من صلواتهم في الكنيسة فلا توجد كنيسة

عندهم دون أن تتبعها فرقة موسيقية تعزف في صلاتهم وعباداتهم فهي جزء من دينهم الذي يعيشون فيه وجزء من وثنيتهم التي ورثوها من معابد اليونان القديمة، كما أنه جزء من شهوات دنياهم التي يلهون بها.

ونجد ـ مع الأسف ـ من بيننا من يتحمس لذلك وينتج الأغاني أو يفرض تدريس الموسيقى في مدارسنا إن كان يملك ذلك أو يقترحه، أو يعمل على بث الموسيقى والأغاني في المكاتب والمحلات التجارية والفنادق، دون وعي وإنما بتقليد وجهل، بل تقليد حتى في الصوت وبث الأغنية الغربية التي قد لا يفهم ولا كلمة منها أحيانًا، دون تفريق بين الخلفيات التي ذكرتها بيننا وبين الغرب، ويحاول التبرير لذلك بشتى الوسائل.

وملاحظة أخرى تجعلني أحس أن ما يسمونه (الفن) وما ينتج عنه في العالم العربي هو شاذ عن هذه المجتمعات، وبمراقبة ما ينتج من أفلام سينمائية ومسرحيات في العالم العربي ومقارنتها بما ينتج في الغرب، نجد الفرق شاسع بينهما في الأهداف والنتائج، فما ينتج في الغرب عمومًا نجده يمجد كل ما يتصل بتراثهم وتاريخهم بل أنهم يحكون عنه كذبًا أحيانًا ليزينوه في أعين الناس وليخترعوا لأنفسهم كرامة ومجدًا صادقًا أو كذبًا وما أفلام رعاة البقر، و(رامبو)، (جيمس بوند)، وأفلام الحرب

العالمية وحرب النجوم وغيرها، إلا جزء من هذا العمل الذي يحاولون فيه تمجيد أنفسهم ومجتمعاتهم، وإظهارها بمظهر القوة التي لا تغلب.

بينما ترى إن ما ينتج في هذا الجانب في العالم العربي هو في غالبه يسخر من تراثه ومن المجتمع الذي خرج منه فقصص الحريم والحجاب وتعدد الزوجات والسخرية من رجال الدين ومن البدو ومن (الصعايدة) أو من الفلاحين والمواطنين العاديين هي السمة الظاهرة على ذلك الإنتاج، بل إن اللباس والطعام والأسماء وغيرها لم تخلوا من السخرية والاستهتار بها، وفي المقابل نرى إنها تحاول إظهار وتحسين بعض الأمور التي هي أصلاً محتقرة عند العرب الشرفاء بمختلف دياناتهم وعند المسلمين خصوصًا، فهي مرفوضة أصلاً في تلك المجتمعات على الإطلاق، كالرقص والمجون والخلاعة وشرب الخمر، وغيرها من الأمور التي نجدها تظهر بشكل كبير في معظم الأفلام العربية، بل لا يكاد يخلو منها فيلم أو مسرحية وهي مدار القصة في كثير من الأحيان (كما يسمونها) وهي أمور محتقرة لا يقوم بها الناس إلا سرًا وبعيدًا عن أعين الآخرين.

أعود للتأكيد على أن أي مجتمع يصنع فنه أو ينتجه لا بد أن يكون معبرًا عنه والشخصية العربية سواء كانت مسلمة أو غير

ذلك مع إنها مسلمة إلا النذر اليسير منها هي ممسوخة في أعمال الفن العربي أو (العفن العربي) كما ينبغي أن يسمى، وأنها ليس لها وزن ولا كرامة لا هي ولا مجتمعاتها، فأين نحن من ذلك وما هي الأهداف التي تخدمها تلك الأعمال وما الخدمات التي قدمتها لتلك المجتمعات داخلها وخارجها وأما إنها تقليد غبي يجب أن نتعامل معه بغباء وأن لا نحطم أنفسنا أو نساعد من يحطمنا من الذين يتقمصون جلودنا وداخلها من غيرنا.

المسلسلات التاريخية

الأمم كلها في عصر التلفزيون تحاول العودة إلى تراثها لتصوغه للأجيال حتى يطلع عليه الأحفاد، وتحاول كل الأمم أن تلمع تاريخها، بل وتخترع تاريخًا من العدم في بعض الأحيان، لتصور للناس أنها تعود في أصولها إلى أمم ذات حضارة وعلم وقوة، وما تنتجه هوليود وشركات الإنتاج العالمية من أفلام لرعاة البقر أو لأمم اليونان والرومان ولفترات تاريخهم المختلفة يأتي من قبيل التمجيد للتاريخ الأوروبي وما يتبعه من حضارة غربية أمريكية أو غيرها، وهم في هذا السبيل يبذلون الأموال الطائلة ويستخدمون العقول الجبارة لإخراج هذه النوعية من الأفلام أو المسلسلات التي تهدف لتلميع ماضيهم، وليبروزا للأمم قاطبة أنهم من أهل

الحضارة، وسواء كانت تلك حقيقة أم تزييف إلا أنهم يحاولون السيطرة على الماضي وطريقة عرضه كما سيطروا على الحاضر.

وفي الأمة الإسلامية هناك محاولات نادرة لإنتاج مسلسلات تلفزيونية تعالج بعض القضايا التاريخية وأكثر ما تبرز تلك المسلسلات والأفلام في شهر رمضان أكثر من غيرها، والحكم على تلك المسلسلات والأفلام يصعب أن يكون إجماليًا، ولكن من الملاحظ افتقاد الكثير منها إلى مرجعيات المختصين من المؤرخين، وبالتالي يقع الكثير من هذه المسلسلات في أخطاء وتشويه للحقائق التاريخية، أو صياغة بعيدة عن الواقع كربط المسلسل أحيانًا بقصة غرام، أو تزييف حقائق تاريخية بأهداف مختلفة، وتستغرب كيف تصاغ بهذا التشويه المتعمد، فإدخال قصص الحب في المسلسلات لا نراه إلا في المسلسلات العربية، بينما نجد قصصًا جادة وواقعية عند الآخرين، ومن المفترض في منتجي تلك المسلسلات أن يعودوا لأهل الاختصاص لأخذ الفكرة والمراجعة والتصحيح. كما يستفاد من كُتَّاب الحوار والسيناريو، إلا أنه ينبغي التأكد على المراجعات التاريخية العلمية لمثل هذه المسلسلات كما يفترض في محطات التلفزيون الخليجية وهي المستهلك الأول لهذا النوع من الإنتاج التلفزيوني أن تشترط على المنتجين، مراجعة المختصين لمثل هذه المسلسلات قبل إنتاجها.

وكما يخسر المنتجون على الماكياج والملابس والديكورات آلاف الدولارات فإن من الأولى قبل كل ذلك بذل المال في تصحيح العمل وتنقيحه أولاً وهذا ليس صعبًا وليس كثيرًا بل هو أول الخطوات التي ينبغي القيام بها.

وأنا هنا لا أدعو للحد من هذه المسلسلات بل على العكس أدعو للتكثيف منها ولكن بالشروط السليمة للرواية والقصة الصحيحة، وبالشروط الفنية الممتازة التي تخرج العمل جيدًا ومحببًا للأجيال حتى يمكن ربطهم بتاريخهم المجيد الذي لا يوجد عند أي أمة من الأمم الأخرى مثيلاً له وأن تكون تلك المسلسلات وسائل بناء وتحبيب للأجيال في ماضيها مما يساعد على بناء حاضرها.

أين نحن وهم؟!

المُطالع في الصحف العربية العالمية يصاب بالخيبة من جراء ما يحدث وما يناقش من قضايا يُرى الظلم فيها واضحًا وجليًا يصيب المسلمين في كل مكان، ويُسيَّر دفة السياسة العالمية بعيدًا عن العدل والمساواة وأقرب إلى التحيز الظاهر والظلم الفاضح، ولكن ملبسًا بعباءة الأمم المتحدة ومعممًا من قوى الغرب السياسية والإعلامية ومبطنًا بالقوى الخفيّة التي تحرك الدول الكبرى والتي تلعب بأصابعها بالدول الصغرى (الحُقرى) في وضعها، والتي يدخل عالمنا العربي والإسلامي فيها حيث يتلاعب به وعقيدته، ولكن بإسم القانون وبإسم النظام العالمي وهيئة الأمم المتحدة، وغير ذلك من المسميّات الحضارية اللامعة، وأقرب مثال على ذلك أن الأمم

المتحدة ومن أمامها وخلفها أمريكا ومن في جيوب أمريكا يتحرك على الطرق وتحسب عليه خطواته بالدقيقة والثانية بإسم النظام الدولي، (مع أن العراق هو الذي جنى على نفسه وعلى غيره) لتحطيم ما لديه من قوة وما يمكن ويحتمل أن يصبح قوة، وفي نفس الوقت نراها تسكت تمامًا عن ما يجري في إسرائيل.

وهكذا نراهم انخدعوا بما وضع لهم ليلتهون به كالأطفال، في إسرائيل تسلح على كافة المستويات النووية والصاروخية وغيرها، بل وتصنع وتصدر السلاح بشكل مخالف للنظام الدولي، الذي يزعمون ومع ذلك لا نجد من يتكلم عن ذلك أو يتحدث عنه على الإطلاق، مع أنها تقوم بالضرب والغزو في لبنان بل وفي تونس أحيانًا والأغرب من هذا أن الإعلام العربي إن كان يسمى إعلامًا يخرس ويصمت تمامًا عن قضايا تصدير إسرائيل للسلاح ومساهمتها في الإخلال بالأمن العالمي، فبماذا نفسر ذلك إذا علمنا إن الإعلام الغربي بيد اليهود فبيد من يكون الإعلام العربي؟ الذي لا يولي هذا الجانب اهتمامًا خاصًا.

ومع أن مباحثات السلام تدور الآن، لم نسمع كلمة واحدة من المسؤولين عنها عن آلاف المهاجرين اليهود من الإتحاد السوفيتي إلى فلسطين المحتلة، وضاعت أوقاتهم أو عقولهم في قضية بناء المستوطنات ومخصصات أمريكا المالية لها، وكأن هذه هي

القضية ونسوا الرجال والنساء الذين يقدمون يوميًا مهاجرين إلى فلسطين وهم أخطر من البناء نفسه.

وأين مثقفو العالم العربي الجهابذة الكبار الذين نسمع منهم دائمًا عن (همنغواي) و(نيكاراغوا) والذين شغلتهم قضية استلام (أميل حبيبي) لجائزة الدولة الإسرائيلية والأدب، أليست منطقتهم وقضيتهم تستحق منهم بعض السطور والمقالات التي يتعين عليهم القيام بها؟.

وأين صحافيونا الجهابذة الذين لم يتركوا يومًا واحدًا دون أن نعرف آخر صيحات الموضة وآخر أفلام الحب وأفلام الرعب وآخر إحصائيات توزيع أشرطة مايكل جاكسون وغيره من مهرجي الغرب أليسوا قد وجدوا مساحات في صحفهم للكتابة حتى عن القطط والكلاب بل وحتى عن الفئران أحيانًا ألا تستحق أمتنا تلك المساحات؟.

أجيبوني بالله عليكم فإني حائر، وأكرر مرة أخرى أين نحن وهم.

الجمعيات العلمية بين العرب والغرب

تُعد جمعيات البحث العلمية المتخصصة من أهم الجهات التي تسهم في تطوير المستوى العلمي وتدعم الأبحاث وتساهم في التطور العلمي في مجال تخصصها، وعلاوة على ذلك فإن الجمعيات في العالم الغربي ـ في كثير من الأحيان ـ ذات دور في رسم بعض السياسات الداخلية والخارجية لتلك الدول، كما تعقد تلك الجمعيات المؤتمرات العلمية التي يلتقي خلالها المتخصصون في فرع من الفروع العلمية، لتلاقح الأفكار الإطلاع على آخر الإنجازات العلمية في مجال تخصصهم. وقد قُدَّر لي قبل عامين حضور مؤتمر الجمعية الأمريكية لدراسات الشرق الأوسط في العاصمة الأمريكية واشنطن، وقد لاحظت أن هنالك المئات من الأبحاث عن المنطقة سواء منها في مجالات التاريخ واللغة والاجتماع، أو في مجالات العلاقات السياسية والاقتصادية بين دوله والعالم الآخر.

كما لاحظت أن هناك مساحة كبيرة في المؤتمر للدراسات المستقبلية عن الشرق الأوسط، ومما استرعى انتباهي أن بعض الحضور لهذا المؤتمر والمتابعون لأبحاثه هم من المسؤولين الأمريكيين في الدفاع أو الخارجية أو الاستخبارات أو وزارة الخزانة وغيرها، وهم في الغالب من المشاركين في اللقاءات السنوية لهذه الجمعية، وبعضهم أعضاء مؤسسون ودائمون فيها، ولذلك فإن الأبحاث التي تطرح فيه لها تأثير بطريقة أو أخرى على رسم السياسات الأمريكية في المنطقة، كما أن تلك الجهات الرسمية تقوم في بعض الأحيان بتكليف العلماء والباحثين من أعضاء تلك الجمعيات من المختصين بدراسات الشرق الأوسط بإعداد بعض الأبحاث والدراسات حول موضوعات معينة تساهم في رسم سياسة تلك الجهات في المنطقة.

ونلاحظ أن تلك الجمعيات العلمية في أمريكا وغيرها من الدول الغربية، لا تتأثر بالأحوال السياسية داخل تلك الدول مقر الجمعية وغيرها، حيث لا تؤثر الأحداث أو تغير الحكومات في حرية تلك الجمعيات واتجاهاتها العلمية البحتة وحيادية أبحاثها ولقاءاتها العلمية، و كما أن تلك الجمعيات من الناحية المالية تعتمد على نفسها وعلى ما يدفعه أعضائها من اشتراكات للعضوية وللمؤتمرات، وبالتالي فإنها غير مدعومة مباشرة من تلك

الحكومات مما يساعد على المحافظة على حياديتها ويبعدها عن الضغوط المختلفة.

ومن المعروف أن هناك العديد من الجمعيات العلمية والأكاديمية على مستوى العالم العربي والتي يفترض فيها أن تكون مساعدة بدرجة معقولة على نمو الأبحاث والدراسات في مجال تخصصها، ولكن الملاحظ ـ مع الأسف الشديد ـ إن تلك الجمعيات في الغالب شبه مشلولة أو ميتة، حيث أن كثيرًا من أعمالها تتوقف على الدعم المادي من قبل الحكومات مما يعرقل أعمالها ويؤخرها ويعرضها للروتين السائد والمعتاد في الأجهزة العلمية الحكومية، كما أن هذه الهيئات العلمية على مستوى العالم العربي، تتعرض لتوقف وتعطيل أعمالها بل في بعض الأحيان و نتيجة لما يسود العالم العربي من اضطرابات وسوء علاقات يؤدي إلى القطيعة بين أعضاء تلك الجمعيات والباحثين فيها بسبب تلك الظروف، بل إن بعض تلك الجمعيات على المستوى المحلي في بعض البلاد العربية تتوقف عن العمل وتعجز عن التحرك والقيام بأنشطتها العلمية بسبب بعض الأوضاع الداخلية، ولذلك يقل الإنتاج العلمي المنظم والمفيد في تلك الجمعيات، وتنعدم فيها المؤتمرات واللقاءات العلمية، وكما أنه لا يستفاد منها كما ينبغي على مستويات رسمية للقيام ببعض الأبحاث أو الخدمات العلمية

التي تحتاجها تلك الدول والمجتمعات، وبالتالي فإن الكثير من تلك الجمعيات العلمية في العالم العربي عديمة الفائدة ولا تستطيع أن توظف طاقاتها لما يخدم بلدانها ومجتمعاتها.

الأيدز وعالمه

تتحدث وسائل الإعلام المحلية والعالمية في هذه الأيام عن الأيدز وأضراره وأخطاره وذلك بمناسبة اليوم العالمي للأيدز والذي مر في الأسبوع الماضي وقد كانت هناك أنشطة مختلفة واكبت ذلك التوقيت صبَّت في خانة التوعية بأخطار الأيدز وأضراره وطرق الوقاية منه، وقد كانت هناك جهود مشكورة للأطباء والعلماء والمحاضرين والمثقفين في هذا الجانب في هذا البلد وفي غيره، ونحن في هذه البلاد وبقية البلدان الإسلامية الأخرى يجري التركيز من حين لآخر على الوازع الديني وتحريكه في قلوب الناس لمنعهم من الوقوع في الرذيلة، وهي السبب الأول والرئيس لمرض الأيدز، وقد أعجبتني عبارة وضعت على بعض الملصقات الموزعة في مختلف أنحاء المملكة بهذه المناسبة وهي عبارة (بالعفة

والعلم نقضي على الأيدز) وهي عبارة صحيحة فالعفة مطلب شرعي أمر الله بها الناس، وهو خالقهم وأعلم بما يصلح لهم أمرهم بالعفة والعلاقات الصحيحة الشرعية ونهاهم عن سوى ذلك وعن كل ما يجر إلى الحرام ابتداء من النظرة ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ**﴾ والكلمة اللينة بين المرأة والرجل في غير محلها ﴿**ولا تخضعن بالقول**﴾ وخلو الرجل بالمرأة ((لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما)) (٢٦) فكل ما يجر إلى الحرام فهو حرام.

إن هذا المرض كما قلت ارتبط إسمه بالرذيلة والوقوع في الحرام وهذا بالطبع لا يعني إن جميع المصابين بهذا المرض وقعوا في الرذيلة ولكنها كما قلت أهم أسباب انتشاره في العالم أجمع عن طريق العلاقة الجنسية المحرمة كالزنا والشذوذ الجنسي وغيره من العلاقات المحرمة.

وقد وصل عدد المصابين بالمرض في مختلف أنحاء العالم إلى ما يزيد على أربعين مليون مصاب بعد أن كان قبل حوالي عشر سنوات لا يتجاوز الألف مصاب، فيا ترى ما هي الأرقام المتوقعة للمرض في الأعوام القليلة القادمة.

---

(٢٦) رواه الحاكم في **المستدرك**، ج ١، ص ١٩٩. ابن حبان في **صحيحه**، ج١٠، ص ٤٣٦. النسائي في **صحيحه**، ج ٥، ص ٤٣٧.

وانتشار المرض يزيد ويتكاثر في مناطق العالم الجديد أو المتحرر ـ كما يقولون ـ أي في دول أوربا وأمريكا وبعض الدول الإفريقية، وفي دول شرق وجنوبي آسيا ومن تسير على شاكلتها، وهي الدول التي أما تقنن العلاقة بين غير الأزواج ـ أعني الدعارة ـ وتسمح بها وتعتبرها من مصادر الدخل والسياحة، أو التي لا تعير لهذه العلاقة أي اهتمام ولا تستعيبها وترى أنها أمرًا طبيعيًا، وبالتالي فإن انتشار المرض في تلك البلدان غير محدود ويسري سريان النار في الهشيم، رغم كثرة الأبحاث العلمية لمقاومته ورغم صرف ملايين بل آلاف الملايين من الدولارات للقضاء عليه أو الحد من انتشاره، وتتركز معظم الأبحاث على المختبرات والكيمياء والأبحاث المعملية المختلفة التي حتى الآن لم تجدي شيء.

وبالتالي فإن من يسافرون لتلك البلدان وخصوصًا من لا يراعون الضوابط الشرعية ويوقعون أنفسهم في الرذيلة ـ لا سمح الله ـ معرضون أن يصابوا بما أصيب به أهل تلك البلاد من مرض الأيدز وغيره من الأمراض الأخرى المرتبطة بالفحش وبالتالي فهم يجلبون لأنفسهم الموت ولأهلهم العار ولبلادهم المرض والدمار ـ لا سمح الله ـ، وبالتالي فإنه من الضروري توعية المسافرين من الشباب وغيرهم حول هذا المرض وتوزيع بعض النشرات الخاصة في المطارات ومنافذ الحدود ولعل تحريك الوازع الديني والعقل يحد من إقدام

من تحدثه نفسه بهذا المرض أو بالفاحشة التي تؤدي لهذا المرض مع المعصية لله.

وتوجد بعض البلدان التي لا يزال ينظر للفاحشة فيها بنظرة استغراب وعيب وتحريم مثل الدول الإسلامية أو التي ينتشر فيها الإسلام أو سبق أن أثر الإسلام في عاداتها، فما يزال انتشار المرض فيها محدودًا، ومع أنها لا تخلو من وجود الفاحشة كطبيعة المجتمعات البشرية عمومًا إلا أن الذين يقومون بها يستترون ولا يتظاهرون بذلك ويعتبرونه عيبًا اجتماعيًا وأخلاقيًا ناهيك عن من كانت لديه قناعة دينية حتى لو أقرته قوانين تلك البلدان، ولعل هؤلاء مع وجود الخطأ بينهم إلا أن عدم المجاهرة فيه يحد من المرض وهذا تصديق لحديث رسول الله ﷺ: ((لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا))،[٢٧] فالمجاهرة من أهم أسباب انتشار الفاحشة، والفاحشة من أهم أسباب المرض، والله الذي خلق المرض هو الذي خلق البشر وحينما حرم الفاحشة أراد إبعاد خلقه عن الأمراض المختلفة، سواء منها البدنية أو الاجتماعية أو الأخلاقية، فما أحكم الخالق عز وجل في علاه وما أنصحه لخلقه لو اتبعوا هداه ﴿**وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء**

(٢٧) رواه ابن ماجه، **في سننه**، باب العقوبات، ج ٢ ص ١٣٣٢.

﴿سَبِيلاً﴾ الآية (٣٢) [الإسراء]، وفي كل يوم تتضح حكمة تشريعه، وكان يكفي الناس جميعًا علاجًا للمرض ووقاية منه العفة التي أمر الله بها جميع الرسل وأتباع الأنبياء وخاتمهم نبينا محمد ﷺ الذي في شريعته حل لكل مشكلات البشر، والله المستعان وعليه وحده التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللغة مفتاح الحضارة

تُعد لغة البلدان وهويتها الدينية والثقافية من أهم الثوابت التي تسعى البلدان للحفاظ عليها وتقويتها، ولذلك فهناك صراع علني وسري بين اللغات والثقافات سواء ظهر للعيان أم لم يظهر، وتسعى كثير من الدول من خلال الإعلام ومواده المختلفة ليس للحفاظ على هويتها فقط، بل وغزو الآخرين بثقافتها وما لديها من قيم مختلفة، ومن هنا فإن ما تنتجه هوليود وغيرها من المراكز المتخصصة في العالم إنما يعد للعالم كله لبث قيم معينة وتركيز الثقافة الأمريكية ونشر اللغة الإنجليزية وحضارتها في العالم، مع الكسب المادي الذي تحصل عليه من ذلك الإنتاج لتعد إنتاجا آخر وتسير عجلتها وأهدافها مرة أخرى، ولمقاومة هذا الغزو الثقافي

الإعلامي تلجأ بعض الدول للحد منه إلى انتقاء المواد الإعلامية المناسبة، وفي الوقت نفسه تعمد إلى (دبلجة) ما تبثه محطاتها بحيث تحرص على عدم نشر أي مواد إعلام أو تسلية داخليًا بلغة غير لغة البلد، ولذلك قد تجد في بعض البلدان الناطقة بغير اللغة الإنجليزية ما يزيد أحيانًا على عشرين قناة تبث أفلام ومواد أنتجت من بلدان ناطقة باللغة الإنجليزية وغيرها، ومع ذلك تجدها (مدبلجة) صوتيًا ولا تسمع حرفًا واحدًا إلا بلغة تلك البلد صاحب القناة، أما في العالم العربي، فإن المحطات تتنافس في بث الأفلام وغيرها باللغة الإنجليزية مباشرة، مما أنتجه أصحاب تلك اللغة وبثقافتهم، وكأننا في العالم العربي أصبحنا من الناطقين باللغة الإنجليزية وجزء من مجتمع آخر، بل وتتنافس المجموعات الإعلامية العربية في إيجاد قنوات متخصصة أحيانًا باللغة الإنجليزية لتبث أفلامًا باللغة الإنجليزية أنتجها الناطقون بها.

ونحن ينبغي أن نفرح بوجود محطات باللغة الإنجليزية لتبث لهم ما ننتجه نحن وما نريده أن ينتشر من قيمنا بين المجتمعات العالمية ونعرفهم بأنفسنا وببلادنا وبما عندنا من تراث وحضارة وتاريخ ورجال واقتصاد وغير ذلك، أما أن نبث ما أنتجوه هم وبثمن مدفوع من قبلنا وبالطريقة التي يريدون هم أن ينشروا بيننا فهذا في تصوري تميع ساد العالم العربي وما لديه من قنوات وجعلها تزهد

في لغتها وفي قيمها وفي حضارتها وبالتالي غزتنا الثقافات الأخرى بأيدينا وبأموالنا وتأثر النشء عندنا بهذه المؤثرات ولا شك أن اللغة والثقافة من أغلى ما يحرص عليه، وينبغي أن لا نكون مستقبلين سلبيين بل نسعى لنكون مصدرين للرأي والفكر والقيم محافظين على ما لدينا من دين وتراث وثقافة ولغة، وقد شعرت مرة باحتقارنا للغتنا، حينما دخلت أحد الفنادق عندنا ووجدت دليل الفندق وضع بعدة لغات منها الإنجليزية والفرنسية والألمانية والبرتغالية وغيرها ولم يكن من بينها اللغة العربية مع أننا بلد عربي وزبائن الفندق يكادون أن يكونوا كلهم عرب بل سعوديون، لكن ليس للغتنا قيمة عند إدارة الفندق التي تحصل على دخلها منا نحن أصحاب هذه اللغة واحتاطت لجميع اللغات المتوقع زيارة زبائن منها أما نحن المؤكد وجودنا في الفندق فلا قيمة لنا في ذلك.

ولغتنا العربية ـ ولله الحمد ـ لها مكانتها العالمية، ليس لدى العرب فقط بل لدى مختلف الشعوب الإسلامية فيما لا يقل عن ستين دولة عبر العالم، بل وحتى في العالم الغربي حيث توجد الأقليات الإسلامية في كل مكان ويمكن أن يشكل المسلمون من غير العرب قوة ودعمًا لهذه اللغة إن نحن وقفنا معها وقفوا معنا، ومن الملاحظ أننا قلَّ أن نجد معهدًا لتعليم اللغة العربية

للآخرين في غير الجامعات الحكومية، بينما نجد عشرات المعاهد لتعليم اللغة الإنجليزية، في بلاد العرب ونحن لسنا ضد ذلك لكن أين نحن من لغتنا ونشرها والحفاظ عليها وتعليمها للشعوب الأخرى فهي مفتاح معرفة ثقافتنا وحضارتنا، ومن الملاحظ أن الطلب على اللغة العربية في الغرب زاد كثيرًا بل أن أحد التقارير الأمريكية الأخيرة إشارة إلى أن اللغة العربية أصبحت من أهم اللغات المطلوبة تعليمًا في المدارس الأمريكية وهم بحاجة ماسة للمدرسين والمواد التعليمية لتنشرها، والله وحده المستعان وعليه التكلان.

أوائل الأوائل

كل أمة لها نظرتها وكل شاب له نظرته، فإما أن تكون تلك النظرة سطحية لا قيمة لها أو عميقة ذات قيمة عالية ومدلول قوي، والمتتبع لأحوال العالم يجد شواغل كثيرة تلفت انتباه الناس، يمكن أن يقيس عليها ما يسود العالم والأمم من مفاهيم ولعل كتاب "**جينيس**" للأرقام القياسية يمكن أن يكون هو بذاته مقياسًا للعالم واهتماماته ليجيب على تساؤل هام، ألا وهو هل أصبح العالم سطحي النظرة أم أن إهتماماته كبيرة؟، ولو نظرنا لما في كتاب "**جينيس**" للأرقام القياسية لوجدنا على سبيل المثال لا الحصر، أطول شارب في العالم، أطول (ساندوتش) في العالم، أكبر جبنه في العالم، أفخم سيارة في العالم، أغلى تحفة في

العالم، أطول أظافر في العالم، أكثر الرجال بقاء بلا نوم، أو أطول معزوفة موسيقية، أو أكثر الرجال بقي مدة طويلة بلا استحمام، إلى غير ذلك من المقاييس المختلفة، والتي تظهر مدى سطحية ما تسجله كتب الأرقام القياسية العالمية وتسجل معها تفاهتها في كثير من الأحيان.

ولعلي أنقل القارئ لنوع من الكتب القياسية التي عرفت في تاريخنا الإسلامي وتسمى عندنا "**كتب الأوائل**"[٢٨] لنرى الفرق بين ما كنا عليه من تفكير، وما عليه العالم المعاصر من تفكير والذي أخشى أن نكون تبعناه أو تعديناه أحيانًا في الانحدار والسطحية، فمن هذه الكتب المعروفة في التراث كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري، ففيه يذكر على سبيل المثال، أول من أسلم من الرجال، أول شهيد في الإسلام، أول أمير على مكَّة، أول من نقط المصحف، أول كريم أطعم على ألف مائدة، أول من ضرب باب القسطنطينية من الفاتحين، أول من صلى وراء النهر من المسلمين، أول قاض في الإسلام، أول من سمي وزيرًا، أول من صنف في الفقه، أول من ألف في العروض، أول من هاجرت إلى المدينة، أول من نظر في الطب، أول من عمل الصابون، أول من عمل القراطيس، أول من ركب الخيل، أول من أجرى المال على

(٢٨) انظر: **الأوائل**، أبو هلال العسكري.

العميان، إلى غير ذلك من الأمثلة المختلفة في هذا الكتاب والتي تدل على مدى الفرق بين ما كتبناه في الأوائل وبين ما دونه (جينيس) وغيره في الأرقام القياسية ومازال يدونه، فيا ترى لو رأى أبو هلال العسكري ما كتبه (جينيس) فهل يبكي أم يضحك، ولو عاش في عصرنا وأخرج لنا كتابًا في الأرقام القياسية فماذا سيكتب؟.

إنها الأمم والعقليات تختلف من أمة لأمة ومن عصر لعصر، ويا ليت عصر أبي هلال، ويا ليت عز زمانه بدلاً من (جينيس) وزمانه وأرقامه، التي يتمنى بعضنا ـ مع الأسف ـ أن يدرج فيها ولعل كثير منا يمكن أن يدرج في أطول الناس نومًا أو أغباهم لو أدرج، والله المستعان.

علمية وعملية

حينما يزور الإنسان بعض المرافق العلمية في الغرب كالمكتبات والجامعات وغيرها يحس بقيمة العلم وتقديره، والاستفادة منه عند هؤلاء الغربيين في مجال حياتهم الدنيا، يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا ويحس أنهم جادون في هذا المجال، وأن كافة الاحتياجات لهذه المرافق ميسرة ومخدومة، سواء في التنافس بينهما واعتمادها على هذا المبدأ وحريتها في استقطاب الخبرات، أو في الاستفادة مما تقدمه من أبحاث مثمرة مدفوعة الثمن من قبل الأجهزة الحكومية أو الخاصة والتي تدفع المبالغ الطائلة لدعم المشاريع العلمية والبحثية وهذا ـ مع الأسف الشديد ـ يكاد يكون معدومًا في العالم العربي والإسلامي، فالمؤسسات

العلمية أما أن تكون مدعومة حكوميًا وثمرة إنتاجها من الأبحاث والدراسات محلها الأرفف والمخازن، ولا تدخل حيز التطبيق إن وجدت، أو ميتة لا تسري فيها عروق الحياة التي تُسيّر الأبحاث دائمًا، وحريٌ بالعالم العربي والإسلامي أن يستفيد من تجربة الغرب في هذا المجال وأن يكون للأعمال العلمية فيها العملية والتنفيذ كما حريٌ به أن يوليها العناية ويوجد النظام الصحيح لتقوم بتسيير نفسها بنفسها ولتخدم مجتمعاتها كما يجري في الغرب.

تشويه الإسلام

لاشك أن أعداء الإسلام كُثر، فمنذ أن بزغ نوره ببعثة نبينا محمد ﷺ والمشركون من عبدة الأوثان وأهل الكتاب يحاولون تشويه صورته ويحاولون صد الناس عن سماع الحق الذي جاء به ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾ الآية (٢٦) [فصلت]. كما أن زعماء الشرك كانوا يتلقون من يأتي إلى مكَّة ويصدُّون عن سماع الرسول ﷺ ويشوهون صورته أمامهم حتى أن أحدهم ليأتي إلى مكَّة قاصدًا السماع من رسول

الله ﷺ، وحين يستمع إلى كثرة الدعايات قد يعود ولم يسمع بنفسه من الرسول ﷺ، بل أن أحدهم قد وضع القطن في أذنه حتى لا يسمع شيئًا من الرسول ﷺ لكثرة ما سمع من الكذب عليه، كما أن أبو لهب وهو من (آل النبي) نسبًا لا دينًا يمشي ورائه وهو يدور على الناس في موسم الحج ويتهم الرسول ﷺ أمامهم بالجنون ويقول: أنا عمه وأعرف الناس به لا تستمعوا إليه،[٢٩] كما تكالب اليهود وأعوانهم من المنافقين على تشويه صورة الرسول ﷺ وعلى تشويه صورة المسلمين، وما حادثة الإفك من ذلك ببعيد.

ونحن في هذا العصر نرى التكالب على تشويه صورة الإسلام بكل الوسائل المختلفة الإعلامية والفنية والمنشورات وغيرها مما يحمل الفكر للناس، ومن يراقب وسائل الإعلام الغربية عن كثب يعرف هذا.

أذكر أنني قد اطلعت في العام الماضي على تحقيق أجرته أحد المجلات الأمريكية عن الديانات في العالم ولعلها مجلة (نيوزويك) إن لم تخني الذاكرة، وقد اختارت صورًا لممثلي تلك الديانات المختلفة فمنهم من كان في مكتب فاخر، ومنهم من كان في حديقة غناء، ومنهم من كان على جانب بحر إلى غير ذلك من

(١) انظر: **السيرة النبوية**، ابن هشام، (عرض النبي ﷺ نفسه على القبائل).

المناظر الجيدة، أما من اختاروه من المسلمين فكان مفتي مصر وقد التقطوا له صورة في وسط خرائب تشبه المزبلة، وكأن القاهرة لا يوجد فيها غير ذلك المكان للتصوير، ولا شك أنها كانت حركة متعمدة من المجلة، قصد منها إعطاء انطباع أولى للقارئ عن الإسلام لا عن المفتي، لأن الموضوع متعلق بالإسلام، ولا شك أن أي حادث سيئ يقع في العالم الإسلامي والعربي يتم ربطه بطريقة مباشرة وغير مباشرة بالإسلام، مثل ربط بعض العمليات الإرهابية من خطف للطائرات أو حوادث التفجيرات وغير ذلك، وأذكر أنه حينما تحدث مثل هذه الأعمال من قبل الجيش الايرلندي المحظور في بريطانيا مثلاً، فإنه لا يذكر أي شيء عن ديانتهم أو مذهبهم بل ربما يكتفى بذكر الحروف الأولى من إسم ذلك الحزب مع أن خلاف ذلك الحزب مع بريطانيا بسبب الاختلاف في المذهب الكنسي بالدرجة الأولى، كما أن الحادث الإرهابي الذي وقع في تكساس في أمريكا بزعامة (ديفيد كورش) وراح ضحيته قرابة تسعين شخصًا لم تذكر وكالات الأنباء شيئًا عن ديانة ذلك الإرهابي، بل حاولوا ربطها بأحد المسلمين ولما علموا خطأ التهم استمروا في تجاهل مذهبه النصراني الأمريكي الذي قام بالعمل الإرهابي.

ولم يقتصر تشويه صورة الإسلام على غير المسلمين بل إن المنافقين من الإعلاميين في العالم الإسلامي يؤيدون وينسخون ما يقوم به أعداء الإسلام عن قصد أو عن غير قصد، فلا تكاد تجد جريدة أو مجلة إلا وفي صفحتها الأولى بشكل شبه يومي عناوين تربط حادثة عنف بالإسلام صراحة، وحتى لو نسبوا بعض تلك الحوادث إلى جماعات بعينها فإنهم يعطون القارئ الانطباع الأول للربط بين الإسلام وبين القتل أو التفجير أو غير ذلك من الأمور وهم بذلك يسيئون للإسلام عن قصد أو عن جهل فالنتيجة واحدة، بينما حين تحدث مثل هذه الأعمال من جماعات حتى ولو كانت دينية في الغرب أو في الشرق لا تجد ذكرًا لإسم الدين الذي ينتمون إليه.

وليست قضية تشويه الإسلام مرتبطة بحوادث وقعت تشوه صورة المسلمين فيها بل إن الخيال مليء بهذه الأشياء، فما رواية سلمان رشدي وهي خيالية كما هو معروف إلا مثالاً لذلك حيث ما أن ينساها الناس إلا ويحاول الإعلام الغربي إثارتها من جديد، ومن المعروف للمتابعين إن أفلام الكرتون الخيالية التي تنتجها هوليود وغيرها، عُرِض كثير منها لتشويه صورة المسلمين بالسخرية منهم أو تصوير مجتمعات الحريم أو السخرية من الحدود الإسلامية، وليس ما يجري من ذلك عفويًا بل هو نتيجة

خبرة ودراسة وعداء متعمد للإسلام، وإذا كان اليهود هم المسيطرون على مثل ذلك الإنتاج أفلا يجدر بالمسلمين أن يكون لهم موقف من ذلك، والله المستعان وعليه التكلان.

❁❁❁

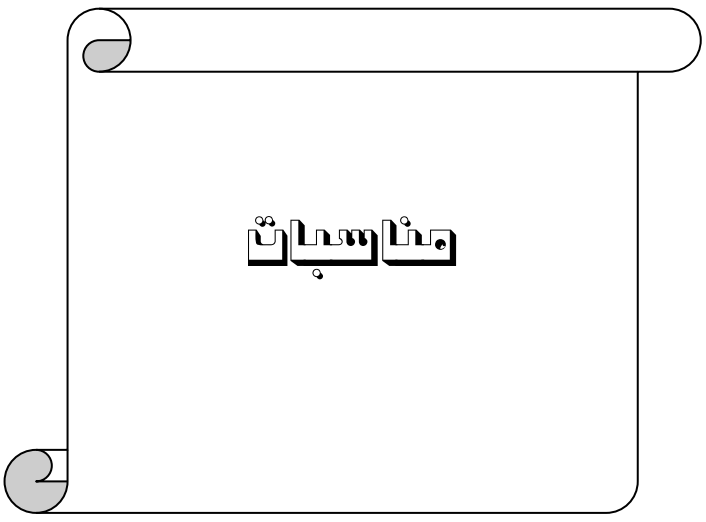

الغرب واحتلال الكويت

يتظاهر صدَّام بأنه عدو للغرب وأن غيره أنما هم عملاء أو ضالعون أو خونة أو سمهم ما شئت من التسميات التي يطلقها هو وأتباعه وأنصاره ومن سار على نهجه، لكننا بتمعن الأحداث والنظر فيها نلاحظ أنه قد قدم أكبر خدمة للغرب كما لم يقدمها أي شخص آخر خلال هذا القرن، وأحب أن أذكر هنا أننا مهما قلنا وتكلمنا فإن الغرب في الأصل عدو لنا وبيننا وبينهم

صراع حضاري كبير لا يمكن أن يزول بين يوم وليلة، ولكن مع ذلك قد نلتقي معه في بعض المصالح الجزئية أو المؤقتة مع الأخذ بعين الاعتبار لكافة الحسابات.

ونحن نعلم أن هذا العمل الذي قام به صدَّام باحتلاله للكويت قد قدم خدمة كبيرة للغرب فهو بهذا قد أضاع أموال العراق وأموال الكويت وأموال دول الخليج التي لن تبخل في الدفاع عن بلادها وأعراضها، وبالتالي ساهم في تبذير ثروة المنطقة بشكل لم يسبق له مثيل، وهذا دون شك يخدم مصالح الغرب الذي يحاول دائمًا أن تكون له السيطرة الاقتصادية، وقد ساهم في تحقيق ما يطمعون به بإضاعته لأموال الكويت والعراق والخليج بهذا العمل.

ومما لا شك فيه أن الصحوة الإسلامية في العالم تشكل خطرًا على الغرب ومن يتابع الإعلام الغربي بدقة يلاحظ خوفهم الشديد من هذه الصحوة، وقد كان الكويت والخليج من أهم مواطن الصحوة التي تستقر بها وتلجأ إليها عند الأزمات وتمدها بالمال والرجال، واحتلال الكويت قد اشغل أهل المنطقة ومنهم أهل الصحوة فيها عن مشاريعهم الخيرية، التي أوقف الكثير منها بسبب الاحتلال وهذا ولا شك يقدم خدمة جليلة للغرب، كما أن هنالك انفصامًا قد حدث بين الصحوة في الخليج والصحوة في

الأماكن الأخرى، نتيجة لتباين المواقف بل إن الانقسام قد حدث أحيانًا في ما بين الصحوة في المكان الواحد نتيجة لاختلاف الآراء حول الموضوع، وحول ما استجد من أحداث وعلى رأسها وجود قوات أجنبية مساعدة للوقوف في وجه صدَّام، وهذا ولا شك قد أضعف الصحوة وفتّ في عضدها ولو مؤقتًا وهو ما يخدم مصالح الغرب بطريقة مباشرة وغير مباشرة وما يضر بالصحوة الإسلامية إن سكتت أو نطقت خلال هذه الأحداث.

ولقد توفرت في الكويت وفي غيرها من دول الخليج خبرات علمية واقتصادية خلال السنوات الماضية، إضافة إلى تطور ملموس في مختلف المجالات لدرجة أن كثير من شعوب الخليج إذا زارت الغرب لا تنبهر بما تراه ولا تحس بفرق كبير في مجال الخدمات وغيرها كما يحس غيرهم، ولا شك أن الغرب ينظر نظرة خاصة لبلاد العرب ولا يحب أن تصل إلى مستوى جيد من العيش والرفاه وبالتالي فإن ما أحدثه صدَّام سيساهم في تحطيم الجهود السابقة للبناء في منطقة الخليج، وفي حالة حدوث حرب سوف ينعش الاقتصاد الغربي،[٣٠] إذ أن شركات البناء العاملة في المنطقة هي شركات غربية وهي تسعى لوجود فرص عمل جديدة لها بتحطيم

(١) نُشر هذا المقال قبل حرب تحرير الكويت.

البنية الحضارية السابقة وهذا ما قدمه احتلال الكويت من قبل صدَّام للشركات الغربية وللعالم الغربي الذي يزعم معاداته له.

ولا شك أن الكويت كانت أقرب البلدان العربية إلى الديمقراطية، وقد جربتها عدة مرات، برزت في أثنائها أصوات إسلامية، ومشاريع خيّرة من خلال ذلك النظام، والغرب مهما تظاهر بأنه يدعو للديمقراطية ولتطبيقها، فإنه لا يريدها في بلاد الإسلام لأن شعوب المسلمين تعود لأصلها حينما تمتلك حريتها، وهذا ما حدث في الكويت وضرب الكويت وديمقراطيتها المحددة ضرب للأصوات الحرة في العالم العربي والتي تناقش من على منابرها نوعية العلاقة مع الغرب بطريقة أكثر موضوعية، وقد قدم صدَّام خدمة للغرب بعمله ذلك رغم تظاهر الغرب بأنه يدافع عن الديمقراطية وسيادة الدول، ونحن من خلال حديث صدَّام عن الكويت ونفطها نلاحظ إنه تحرك بدافع مادي لاحتلال الكويت والسيطرة على مصادر ثروتها وليس بأي دافع آخر، وإن تظاهر صدَّام بأنه احتل الكويت ليحرك الغرب أو العالم لحل قضية فلسطين وسيتحرك العالم أكثر لو اتفق مع الأردن وواجه إسرائيل بقواته مباشرة من حدود الأردن ولحرك بنفسه قضية فلسطين بدلاً أن يحركها بدماء الشعب الكويتي المسكين ولن ينجح في هذا

التحرك ولو فعلها لتحركت معه شعوب الخليج في حربه المستبعدة مع إسرائيل.

كما أنه إذا كان يزعم أن هناك حقوقًا تاريخية للعراق في الكويت منذ أيام الإنجليز فإن العراق له حقوق في الأردن منذ تلك الأيام كما هو معروف، فالأسرة الهاشمية قد وزعت في العراق وفي الأردن من قبل بريطانيا في سنة واحدة وكان الشقيقين عبد الله ابن الحسين وفيصل بن الحسين على تفاهم كامل وكأنهما في دولة واحدة ومن لا يصدق ذلك فليرجع إلى الصحف المعاصرة لتلك الأحداث.

كما أن احتلال الأرض بزعم وجود حقوق تاريخية هو نفس الزعم الذي ادعته إسرائيل عند احتلالها لفلسطين، وكلنا نعرف كذب هذا الزعم ووجوب الوقوف في وجهه، وصدَّام بعلمه هذا أعطى مبررًا لمن يحتل أرض الآخرين بزعم الحقوق التاريخية ومنهم اليهود في فلسطين.

وأخيرًا أحب أن أقول على الشعوب العربية أن تكون واعية وأن تميز في الادعاءات وأن لا تندفع دون وعي لتأييد أحد من الزعماء مهما كان إذا أحدث مظلمة، وأن يعوا أن الغرب ذكي بما فيه الكفاية فقد يتركون بعض الزعماء يصيحون ويزعمون عداوتهم

ووقوفهم في وجه الغرب بينما هم في الحقيقة يقدمون لهم خدمة كبيرة لا يقدمها غيره.

❁❁❁

قصيدة الكويت

إني أراهم يقتلون الحر بالحراب

ويفعلون القبح دون خشية العقاب

ويعمدون دائمًا لطعننا

ويشربون عسلاً من دمنا

وللعراق يبحثون عن قضية

ويشغلون الشعب دون وقفة أبية

يطيح فيها العناد والفساد

ويرفع القيود عن شعب الجهاد

من لي بقوم يعرفون العقل

وينشرون الفكر دون الجهل

أيرتجى الجهاد من صدَّام

كلا ولا من بعثه الطغام

أيصرع الكويت في محرابه

ويطلب الجهاد عند بابه

نحب من كويتنا الحبيب

رجال صدق فيه من قريب

يسارعون العطف للمحتاج

ويدفعون الضر عند الحاج

يقدمون الخير للفقير

بلمحة سريعة التقدير

نرجو لهم من الإله الرحمة

وأن يروا بلادهم منعمه

تعود بعد أسرها سليمة

تحكم بالشريعة العظيمة

يسودها الإسلام والسلام

يحكمها رجاله الكرام

تدنيس القرآن

في خلال الأسابيع الماضية بدأت الأخبار تتسرب عن انتهاكات متعددة لحرمة القرآن الكريم في معتقل (غوانتنامو) الأمريكي، وقد كان أول من نشر الخبر في مطلع الشهر الماضي مجلة (النيوزويك) الأمريكية في خبر لها عن حوادث متفرقة من هذا

النوع يجري التحقيق لها وقد كان ظهور الخبر بمثابة الصاعقة التي أيقظت الحس الشعبي في عدد من الدول الإسلامية حيث خرجت حشود غاضبة في أفغانستان وباكستان وأندونيسيا وإيران ومصر ولبنان وغيرها من دول العالم الإسلامي كانت تلك الحشود الغاضبة تعلن بكل صراحة عن كرهها لأمريكا ـ التي تبذل الملايين والجهود وتنشئ المحطات لتحسن صورتها ـ وقد كانت ردة الفعل الأمريكية أكثر تخبطًا وتدهورًا من الحدث نفسه وأكثر لا مبالاة بالشعوب المسلمة وتقدسيها للقرآن الكريم بل استطيع أن أقول إن ردة الفعل الرسمية الأمريكية في تخبطتها وتصريحاتها لم تراعي المصالح الأمريكية نفسها في العالم وعلاقتها بشعوب العالم الإسلامي وهذا التخطيط يمكن تلخيصه بما يلي: ـ

ضغط رسمي على الصحيفة الأمريكية لتكذب الخبر مما جعل الصحيفة تسحب تأكيدها للخبر دون نفي للخبر وهذا أثبت إن الجهات الرسمية الأمريكية تضغط على صحفها وبطريقة غير طبيعية في بلد يزعم الحرية للرأي والديمقراطية وحرية النشر، وكانت الصحيفة حذرة في نفي التأكيد لأن ذلك يعرض مصداقيتها أمام قرائها في أمريكا والعالم للانهيار وهذا ما خشيه العاملون في المجلة المذكورة.

بعد السعي الرسمي لنفي الخبر والضغط على الصحيفة إذا بأحد الجنرالات الأمريكيين المسؤولين عن التحقيق في قضية تدنيس القرآن يقر بأن نتائج التحقيق أظهرت ما يقارب خمس عشرة حادثة مرصودة لهذا التدنيس وصل بعضها إلى حد التبول على القرآن عمدًا من قبل عسكريين في سجون (غوانتنامو)، رغم الضغط على الصحيفة لتكذيب الخبر ـ ومع هذا الإقرار الرسمي ورصد الحالة فقد ظهر من التصريح إن أصحاب حوادث الإهانة معروفين ويمكن الوصول إليهم لو أراد المسؤولون الأمريكيون ذالك إلا إن المتحدث الرسمي اظهر أنه ليس هناك أي نية لتقديم أي من هؤلاء للمحاكمة (لماذا يا ترى؟؟)، الذي يظهر إن القرآن وأصحاب القرآن من المسلمين أجمعين في كل أنحاء العالم لا يستحقون أن يجاب طلبهم بالتحقيق والمعاقبة لأصحاب هذه الجريمة الشنعاء فيا ترى ما وزننا عند هؤلاء.

في وقت تزعم أمريكا أنها جاءت إلى منطقتنا لنشر الحرية والديمقراطية والقضاء على الظلم.

و أنشأت فيه محطات فضائية كالحرة وغيرها لتحسين صورتها أمام شعوب العالم الإسلامي والعربي ـ عن طريق موسيقى الجاز وغيرها كما يبدو ـ أما تحطيم شعور المسلمين فليس محل نظر.

في ظل هذه الأجواء والأحداث المتفرقة هل يا ترى يمكن تحسين صورة أمريكا و هل يا ترى فيها من العقلاء من يستطيع تحسين الصورة أمام هذه المتناقضات من الأحداث فإذا كان تدنيس المصحف عملاً فرديًا كما يزعمون فأنه لا أقل من الاعتذار الرسمي ومحاسبة من قام بهذا العمل الفردي على خطئه، وعبثًا تحاول أمريكا تحسين صورتها لأنها تشوه الصورة وتزيد من كره المسلمين لها بجميع فئاتهم.

وهاهي تلميذتها المدللة إسرائيل تسير على خطئها في تدنيس القرآن الكريم حيث خرجت بعض الأخبار عن مثل هذه الإحداث في السجون الإسرائيلية والسؤال الذي يتبادر إلى الأذهان هل القرآن من جماعة القاعدة في نظر المسؤولين حتى يفعل به في (غوانتنامو) ما فعل ولا يستحق من (رامسفيلد) أو غيره أي اعتذار أو تحقيق أو عقوبة للجناة في وقت تزعم أمريكا أنها تسعى للإصلاح في العالم العربي والإسلامي وهي لا تدرك لا هي ولا باحثيها ولا مسؤوليها مكانة القرآن عند طوائف المسلمين كافة بلا استثناء وعند جميع طبقاتهم حكامًا وشعوبًا فمن الأولى يا ترى بالإصلاح، والله المستعان.

❁❁❁

تسليمة رشدي

تتناقل وكالات الأنباء منذ أشهر الحفاوة البالغة التي تلقاها تسليمة نسرين الكاتبة البنغالية التي سلكت طريقة سلمان رشدي في السخرية من الإسلام، ومن نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، والغريب في الأمر أن هذه الحفاوة تجري باسم الأدب والأدباء وحرية الكلمة والتعبير، وقد وضعت لها جداول عديدة

ربما كان من بينها مقابلة بعض الرؤساء كما حصل لسلمان رشدي من قبل، ومن آخر تلك الاحتفالات ما جرى قبل أيام في السويد من لقاءات وتشجيع وإبراز لها على المستوى الإعلامي في ذلك البلد من خلال المؤتمرات الصحفية، واستقبال العديد من المسؤولين والمثقفين لها، والغريب في الأمر أن تلك الاحتفالات يلاحظ فيها رفع الصليب في أماكن مختلفة من الحفل وخصوصًا خلف المتحدثة الرئيسة وهي الأديبة المزعومة تسليمة نسرين، ويحتفل الحضور بما توجهه تلك الكاتبة من انتقادات للإسلام ولنبيه ﷺ وكل ذلك يجري باسم حرية الكلمة والأدب، أما نحن المسلمون فنحمد الله سبحانه وتعالى أن جعلنا نحب عيسى عليه السلام ونحترمه أكثر مما يحترمه من ينتسب إليه ممن يسخرون من نبينا محمد ﷺ، ولو وجد في أي بلد من بلاد المسلمين من يحاول التعرض لعيسى عليه السلام لمنع وعوقب من قبل المسلمين قبل غيرهم.

وهناك دعوات وجهت لتلك الكتابة البنغالية لإلقاء مؤتمرات صحفية عن ما قامت بتأليفه ولإطلاع الرأي العام الفرنسي على إنتاجها وآرائها ولعمل دعاية قوية لإنتاجها الأدبي كما يزعمون، وليس لجودة إنتاجها الأدبي وأسلوبها الغريب ولكن هذا الأمر كله بسبب حملتها الشرسة على الإسلام ولذلك فإنها في فرنسا بلد الحرية كما يقولون فهي حرة في أن تقول ما تشاء وتتحدث بما

تشاء، وأن من ينظمون لها دعاية العداء ضد الإسلام أحرار لأن أوروبا عمومًا وفرنسا خصوصًا يقول فيها الناس ويفعلون ما يشاءون بحرية تامة كما هو الظاهر.

علمًا أن تلك الزيارات لمختلف البلاد الأوربية تكلف حكومات تلك البلاد بعض المصاعب والنفقات إذ أن هذه الكاتبة تحتاج إلى حراسة مشددة فهي كما يقولون مهددة بالقتل من المسلمين بسبب آرائها، وتستغل التهديدات لعمل الدعاية لها ومع كل تلك النفقات والتكاليف فإنها يرحب بها في كل أنحاء أوروبا بإسم الحرية.

ولكن في جانب آخر فإن المسلمات في فرنسا ليس لهن الحرية في ارتداء الحجاب، ومن تفعل ذلك فإنها تطرد من المدرسة وليس لها الحق في التعليم. أهذه هي الحرية؟!.

ولست أدري ما السبب وراء ذلك!، فهذا الأمر ليس قرار مدرسة بعينها، بل هو قرار التعليم العام في فرنسا وقرار وزارة الداخلية الفرنسية والمدعوم من المحكمة العليا وهي أكبر سلطة قضائية في فرنسا، والتي أعتبرت إن قطعة القماش التي تضعها التلميذة المسلمة فوق رأسها في فرنسا خطر يجب محاربته، و مع العلم إن المسلمين في فرنسا هم في الغالب مواطنون فرنسيون من المفترض إنهم يتمتعون بنفس الحقوق التي يتمتع بها بقية الشعب الفرنسي،

ولكن كونهم مسلمين يحرمهم من حقوق كثيرة من رموزها الحجاب الذي ليس كل شيء في الأمر، لكنها قضية رمزية كما قلت، ولا يتخيل البعض أن الحجاب الممنوع في المدارس الفرنسية هو غطاء الوجه كاملاً كما هو شائع في السعودية ودول الخليج، ولكن الحجاب الممنوع في فرنسا هو مجرد قطعة قماش توضع على الرأس، وقد نفذ هذا الأمر في فرنسا في وقته وبصرامة، حيث وقف بعض رجال البوليس عند مدخل بعض المدارس وقاموا برد الفتيات المسلمات ومنعوهن من دخول المدارس وأين في بلد الحرية التي يلبس الناس فيها ما يشاؤون، وبمشيئتهم قد لا يلبسون، وبإسم الحرية. واتسعت تلك البلاد لتسليمه نسرين لكنها لا تتسع لحجاب المسلمات. ليس لمشكلة معينة في الحجاب بل لأن الحجاب يرمز للإسلام وهذا ما يكرهه البعض ممن كانوا وراء هذا القرار وربما صرحوا بذلك أحيانًا.

إنها الحرية وبلد الحرية كما يقولون، والغريب في الأمر أن بعض المثقفين الفرنسيين يدافعون عن القرار ويحتجون في هذا الأمر بأن بعض البلاد العربية تطبق مثل هذا الأمر وتمنع المحجبات من دخول المدارس، فلا حول ولا قوة إلا بالله، والله المستعان.

❁❁❁

كيف الحال

إن حال الأمة العربية والإسلامية تحير العقول العاقلة لما فيها من ضعف وانقسام وغباء أحيانًا، ومن ذلك ما حدث قبل تحرك طاغية العراق ضد جارته الكويت، وهو الخاسر في هذا التحرك بالطبع من وجوه عديدة، كما أن الأمة بمجملها خاسرة ومتضررة بصنيعه وتحركه، وبالتالي فإن ما قام به من عمل يزيد الشروخ والعداوات

ويصدع الأمة ولا غرابة في هذا حيث أن صدَّام ومن على شاكلته ممن تربوا على مبادئ حزبية بعيدة عن الأمة وعن تراثها لا يحسبون لمصالح الأمة التي ينتمون إليها أي حساب، و مهما كونوا من قوة فهي نكبة عليهم وعلى الأمة أجمع.

وحال الأمة مع أعدائها من داخلها وخارجها ليست غريبة، وكثير من الناس يستغرب تفوق أعداء الأمة عليها، ولكن في الوقت نفسه لا يكون واقعيًا في نظرته للأمور، فجميع الدول والمجتمعات تسعى إلى مصالحها دون تردد، فإن التقت مصالحها مع مصالح الآخرين فأهلاً ومرحبًا وتجدها تجد في العمل وأن لم تلتقي فهي ولا شك تقدم مصالحها على كل شيء دون استثناء، وهذا أمر طبيعي جدًا ولا غرابة فيه، وهو الأصل في جميع التصرفات لدى مختلف الأمم والشعوب، ولذلك فإنه من الجانب الآخر على العرب والمسلمين أن يعوا هذا الأمر ويدركوه ويتداركوا أوضاعهم من هذا المنطلق، كما أن عليهم أن يدرسوا تاريخهم ويعوه وعيًا جيدًا ويستفيدوا من ذلك في تحسين أحوالهم، فهم إن لم يحسنوها بأنفسهم فإن أعدائهم لا يريدونها أن تتحسن وهذا هو الأمر الطبيعي والمنطقي.

ومن دراسة التاريخ نجد أن المسلمين مرت عليهم نكبات ومصائب مختلفة يمكن أن يأخذوا منها العبر والدروس ومن ذلك

الغزو المغولي والغزو الصليبي والاستعمار الأوربي وغيرها ونستطيع أن نأخذ بعض الدروس من الغزو المغولي في القرن السابع الهجري والذي أدى إلى سقوط الخلافة العباسية في بغداد ومهلك مئات الألوف من أهلها وتدمير الحضارة الإسلامية آنذاك، وقد جرت خلال تلك الأحداث قصص عديدة تؤخذ منها عبر وعظات مختلفة. ومن هذه القصص المشهورة ما ذكره المؤرخون من حوادث تدل على فارق الاهتمام بين المغول والخلافة ا لعباسية.

يذكر أن بدر الدين لؤلؤ، وهو أمير مستقل عن الموصل قد أقام علاقة قوية مع هولاكو إتقاءًا لشره، وفي الوقت نفسه كان لا يزال على علاقة جيدة بالخلافة الإسلامية في بغداد، فوصلت إليه أثناء تقدم المغول إلى بغداد في وقت واحد رُسل من هولاكو يطلبون منه إمدادهم بالأسلحة والمنجنيقات، وما يلزم فتح الأسوار استعدادًا للهجوم على بغداد، كما وصلت رُسل الخليفة في الوقت نفسه يطلبون مغنية عند صاحب الموصل قد ذكرت بجمال الصوت وحسن الشكل، فقال صاحب الموصل حين تلقى الرسالتين لمن حوله: انظروا إلى هذين الرسولين وابكوا على الإسلام وأهله!! وبالفعل كانت النتيجة متوقعة ومعروفة منذ البداية، وليس الأمر متعلق بالإطلاع على الغيب والكهانة ونحوها ولكن الأمور تجري بظواهرها وبأسبابها فأمة جعلت همها الغناء

والـترف والخلـود إلى الراحـة ليسـت كأمـة جعلـت همهـا القـوة والاسـتعداد لهـا، وكـان مـا توقـع صـاحب الموصـل. فقـد وصـلت جيـوش المغـول بغـداد وأحاطـت بهـا مـن الناحيـة الغربيـة والشـرقية، وكان المدافعون عن بغداد لا يتجاوزون عشرة آلاف مقاتل في وقت وصل فيه سكان بغداد إلى أكثر من مليون نسمة انشغل معظمهم بالأكل والشرب متناسين واجبهم، وبالتالي فإنه أصابهم ما أصاب كـل النـاس علـى يـد المغـول مـن قتـل وتشـريد، ولـو أنهـم اشـتركوا جميعًـا في الجهـاد والإعـداد لمواجهـة الأعـداء لنـال بعضـهم شـرف الشهادة ونـال البقيـة منهم النصـر والعـزة وحفظـوا أنفسـهم وبلـدهم من الأعداء.

أذكـر هذا الآن في وقت يتعرض فيه المسلمون لاستضـعاف علـى يـد أعـدائهم في فلسـطين والبوسـنة وغيرهـا، وأذكـر بـأن علينـا أن نقرأ التاريخ لنعرف كيف حال أعدائنا ولـو لبسـوا ثيابنـا أحيانًـا في الوقـت الـذي علينـا أن نقـرأ التـاريخ لنعـرف كيـف نتصـرف معهـم ونعـرف أن كـلاً يسـعى لمصـلحته وأن نكـون أذكيـاء وجـادين في هذا المجال، والله المستعان وعليه وحده التكلان.

❁❁❁

همس الخليج

لقد تخيلت أن للخليج روح تتحرك ونفس تنطق ولسان يلهج، وتخيّلت مع ذلك أنه أسَرَّ إليَّ حديثًا هُمس به لي في هذه الأيام فأردت أن أطلع أخي القارئ عليه فقد تخيلته قال لي:

أنا الخليج أرضي وبحري خلق من خلق الله ولا أدين إلا لله ولا أخشى إلا إياه ولا أرضى لأحد من أهلي إلا أن يكون كذلك

فالتزموا أمر الله وحكموا شرعه في كل شؤونكم دون استثناء فالله خالقكم وأعلم بما يصلح لكم وإياكم والبعد عن منهجه ففي ذلك الهلكة.

اعلموا أن الله قد أنعم عليكم بنعم عديدة من أعظمها في هذا الزمان نعمة الأمن ونعمة المال، واعلموا أنكم محسودون عليها، فأدوا حقها. لقد عرف العالم صنفين من أبناء الخليج صنف أهل إحسان وصدقة وصل خيرهم وبرهم إلى إفريقيا والبوسنة والمسلمين في كل مكان، بل إن خيرهم قبل ذلك كله للمحتاجين في بلاد الخليج أولاً، أكثر الله من أمثالهم وزاد من خيرهم وشكر سعيهم وهذا الصنف محبوب إلى الله وإلى الناس، أما الصنف الثاني فهم ممن بطر النعمة وزاد في الترف حتى استحق النقمة، وأصبحوا يتنقلون في أرض الله بحثًا عن الشهوة والشهرة فعصّوا ربهم وأضروا بأنفسهم وبسمعة بلادهم وأهل دينهم، هداهم الله وأعادهم إلى الصواب أو قللهم، وقد نسى هؤلاء إخوانهم المحتاجين في بلاد الخليج نفسها والتي لا تخلو من فقراء كأي أرض من أراضي الله وكذلك في بقية المسلمين في البلاد الأخرى فلا هم استفادوا بأموالهم في الخير ولا أفادوا بها الغير.

إن بعض الدول على أرضي تعيش انفتاحًا تجاريًا وحضاريًا على العالم حتى أصبحت تستقطب الشركات والمعارض وأصبحت

نقطة تجمع دولية، والنشاط التجاري مرغوب فيه ومطلوب والتحرك فيه بركة، وهو من السعي في الأرض بالحركة، ولكني والله أصبحت اشتكي من بعض الفنادق في بعض تلك الدول وأئن ألمًا لما يجري فيها مما يخجل المرء عن ذكره فأحذروا وأحذروا ما يصاحب ذلك من نشاط لأهل الأيدز الأخلاقي والبدني، الذين ينشرون الفساد والرذيلة في الأرض فإنهم يخططون لغزوكم لأخذ أموالكم وإفساد أولادكم ونشر الأمراض الجسدية والمعاصي فيكم، ولا يرد هؤلاء عنكم إلا مزيدًا من الالتزام بشرع الله والبعد عن الفحش.

إن بلاد الخليج ولا شك متفاوتة في الكثافة السكانية وفي بعض منها فائض في المتعلمين الذين يمكن أن يكونوا موظفين ومعلمين من الطراز الأول في البلاد الأخرى وأولى من يستفيد منهم بلادهم وبلاد الخليج الأخرى، وعسى أن يكون هناك تعاون حقيقي للتوظيف من تلك القدرات في البلاد الأخرى فهم أولى الناس بالعمل وبلاد الخليج أولى بهم لما في ذلك من تجانس ومصلحة مشتركة.

احذروا من شرَك الديون وفخها فإن دول الغرب لا ولن ترضى ببقاء الأموال في أيديكم فأنتم لا تحسنون التصرف بها في نظرهم ولا تستحقون ما لديكم من أموال وبالتالي فهم سوف يسعون

باستمرار لإغراقكم بالديون، لا حبًا في الإقراض بل لكي ينالوا من الربا والفوائد الشيء الكثير وحتى يصلوا إلى مرحلة لا يسد فيها ناتجكم من البترول ما عليكم من فوائد إن استطاعوا، وتذكروا كيف كانوا ينظرون إلى آبائكم من قبلكم، لقد كانوا في أرضهم وبلدهم وحينما قاموا بمقاومة الاستعمار الأوروبي قبل مائتي سنة كانوا يسمون القراصنة أو كلاب القراصنة الضالة مع إنهم هم المعتدى عليهم وأحرقت مدنهم في تلك الفترة مثل مسقط والبحرين وغيرها، ومع ذلك فالمحرقون الأوروبيون من البرتغاليين وغيرهم كانوا شجعانًا ونبلاء وقادة عظامًا، أما المدافعون عن أنفسهم فهم قراصنة مجرمون فهذه نظرتهم لكم فاعرفوهم على حقيقتهم وتعاملوا معهم بالحكمة، ومن لم يصدق فليرجع إلى (لوريمر) في دليل الخليج وغيره ممن كتبوا عن المنطقة.

إني أعلم أن أبنائي يسمعون بالكثير من الخدمات والقرارات التي اتخذت لمصلحة الخليج وأبنائه، ولكني أعلم أنهم يتطلعون إلى واقع حقيقي وملموس أكثر لهذه الأمور، فهم يطمعون في مزيد من الاندماج والوحدة على منهج الله، ومزيد من الاستعداد والقوة الحقيقية فقد علمتنا التجارب أن الأعداء كثير بل وإن

الأصدقاء يتحولون إلى أعداء في هذا الزمن العربي الرديء فلا أمان لمن لا إيمان له، ولا يوثق إلا بمن يخشى الله.

احذروا الضربة القادمة والقريبة والمتوقعة لأسعار البترول فرغم انحدار الأسعار في هذه الأيام إلى مستوى متدني جدًا جدًا، فإن الغرب يعد العراق للنزول إلى ساحة المبيعات بإنتاج وفير للبترول لضرب الأسعار من الرأس وقصم الظهر، وإغراق السوق البترولية بأهلها وبترولهم لكي يستجدوهم في شراء البترول بتراب الفلوس كما يقال فهل أنتم مستعدون لهذا الأمر.

كانت تلك الهمسات مما أحسست، لأن الخليج يحدثني به، فأردت أن أطلعك عزيزي القارئ عليه ولعلي أن أحدثه مرة أخرى لأرد عليه في بعض ما قال فحديثي له صادق ـ بإذن الله ـ، والله المستعان.

نحورنا دون نحرك يا رسول الله

فوجئ المسلمون جميعًا بما نشر في صحيفة دنماركية من سخرية متعمدة طالت نبي الرحمة ﷺ ومست قلوب وأرواح المسلمين في أصقاع الأرض دون استثناء بشتى طوائفهم واختلاف انتماءاتهم، إن هذه الرسوم المتعمدة والتهكم الواضح ليس لها من تفسير إلا الحقد الدفين والكره للرسول ولكل من ينتمي لهذا الرسول ﷺ .

وقد تسارعت الأحداث المرتبطة بالحدث.

ومما يثير السخرية أن الجهات المسؤولة في الدنمارك لم تعط الحدث ما يستحق فقد زعموا أن هذا من باب حرية التعبير وكأنهم يعطون أنفسهم تاجًا من الحرية نحن لا نعرفه ويضعون احترامًا لأنفسهم ومبادئهم، وكأننا لا نقدر المُثل وما يحملون من قيم.

إن حرية التعبير المزعومة التي يتذرعون بها يدركها جميع المسلمين وغيرهم، لكن السخرية بالآخرين باسم التعبير ليس لها مكان بيننا.

إننا في العالم الإسلامي دافعنا سابقًا عن المسيح عليه السلام حينما سخرت منه بعض الأفلام الإباحية الأوربية، فدافعنا عنه كما ندافع الآن عن محمد ﷺ.

أين الدنمارك ودول أوربا وغيرها من حرية التعبير حينما يتحدث الناس عن قضية محرقة اليهود على أيدي النازيين في ألمانيا؟ وهي قضية تاريخية قابلة للمناقشة، لكن قوانين حرية التعبير المزعومة تمنع أي مناقشة للموضوع أو بحث علمي ذي صلة بالقضية أما الإساءة للإسلام والمسلمين وبالكاريكاتير وبأعز شخصية لدى المسلمين بل لدى البشر وبرسوم خيالية حسب مزاج فنان منحرف فهذا من حرية التعبير.

وبمتابعة الحدث نجد أن هناك محاولة اعتذار من قبل المسؤولين الدنماركيين على مستوى رئيس الوزراء والوزراء والسفراء لكنها في مجملها وبقراءتها توحي أن فيها تعالي واستكبار عن مجرد الاعتذار فكلها تعلن احترامها للأديان والمعتقدات والرموز الدينية هكذا إجمالاً، لكن الواقع أنه لا يوجد فيها ما يؤكد الاعتذار عن ما صار أو عمل في حق نبينا محمد ﷺ لكنها إعلان لمبادئ عامة وما جرى وما حدث في حق نبينا محمد ﷺ مخالف لتلك المبادئ المعلنة وكأنه لا يستحق الإشارة إليه مباشرة وما عمل في حقه ﷺ أو الاعتذار عن ذلك.

إن تفاعل المسلمين مع الحدث تفاعل ايجابي وإعلان حقيقي للدفاع عن رسول الله ﷺ بجزء من حقه علينا وهو صاحب الفضل أولاً على الإنسانية جميعًا ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ الآية (١٠٧) [الأنبياء]، وعلى من آمن به على وجه الخصوص وقلوب المسلمين دون استثناء مع رسول الله ﷺ فهو حيٌ في قلوبنا وذكره مرفوع كما قال الله وهو السميع العليم ﴿**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾ الآية (٤) [الشرح]، أما المستهزئين ﴿**فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ الآية (١٣٧) [البقرة]، ﴿**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**﴾ الآية (٩٥) [الحجر]، وكأن هذه الآيات لا تخص حياته مع قريش بل تمتد بعد وفاته ﷺ.

إن التفاعل مع الحدث لم يتوقف على المسلمين فقط بل بادرت عدد من الشركات الأوربية العاملة في العالم الإسلامي بالبراءة مما حدث وبالإعلان في الصحف عن هويتها حتى لا يقع الخلط بينها وبين الشركات الدنماركية التي لم تمارس ضغطها كما يجب لاستخراج الاعتذار مما حدث لنبينا محمد ﷺ من الدنماركيين وهذا هو المطلوب، وليس المطلوب هو التصريح العام المائع عن احترامهم لكافة الأديان فهذا شأنهم أما نحن فنبينا ﷺ شأننا وروحنا وشعورنا.

وفي هذا الموقف لا يسعنا إلا الشكر والدعاء لكل من ساهم في الدفاع عن الرسول ﷺ من السفراء المسلمين والجاليات المسلمة في الدنمارك، كما لا ننسى تصريحات مجلس الشورى ومجلس الوزراء في المملكة العربية السعودية الذين عبروا عن ضمير وطنهم مهد الرسالة ومواطنيهم حملة الإسلام وأهل النبي ﷺ وأتباعه.

كنا في اجتماع خاص ضم عدداً من المثقفين من مشارب مختلفة أتضح أن بعضهم حين الحديث عن الإساءة للنبي ﷺ غير مكترث مما حدث وأنه وأمثاله لا يريدون ردة الفعل التي تمس الغرب ومصالحه، واستنكر ذاك الشخص الحملة على الدنمارك، وألمح أنها ربما تستخدم من قبل المنظمات الدولية مثل منظمة التجارة العالمية لمعاقبة المملكة بسبب مقاطعة تجارة

الدنمارك، فرد عليه بعض الحضور بأن المقاطعة هي شعبية وهي من حرية الناس وليست حرية التعبير فقط التي يتنطع بها المسؤولين الدنماركيين في مناقشتهم للموضوع، وأن الغربيين يدركون المقاطعة الشعبية، وأن الشعوب المسلمة أكثر منك إدراكًا للحدث.

وإذا كان هذا وأمثالهم ممن ينتمون لنا يسلبوننا حق الدفاع عن نبينا، بل وفي نظرهم ربما يخافون علينا من غضب الغرب، لأننا غضبنا من سبَّ نبينا ويتعلقون بذلك ويحاولون أن يظهروا فهمهم للقوانين الدولية، فنقول: أفهمونا أولاً قبل أن تزعموا أنكم أفهم في العلاقة مع الغرب، كونوا معنا ولا تكونوا علينا، أين أنتم من فهم مجتمعكم الذي أرضعكم اللّبن، ووطنكم الذي غذاكم وحماكم وحتى الآن لا تعرفون مكانة محمد ﷺ عند أهل هذا الوطن الذي تنتمون إليه وعند شعوب العالم الإسلامي، فأما أنكم لا تفهمون أو تتجاهلون والأخرى أعظم، ﴿**إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ**﴾ الآية (٤٠) [التوبة]. أين أنتم من شعور آبائكم وأمهاتكم وإخوانكم، وجيرانكم وأهلكم، أين أنتم ممن يحبون الرسول ﷺ.

إن كنتم لا تشعرون وأنتم تعيشون بين المسلمين ومحسوبون معهم ولم يحرك فيكم سب رسول الله ﷺ ساكناً وتحاولون الدفاع عن موقف الدنمارك، كما قال حسان بن ثابت:

أمن يهجو رسول الله منكم

ويمدحه وينصره سـواء

فإن أبي ووالده وعـرضي

لعرض محمد منكم فداء

وكما قالت عاتكة بنت عبد المطلب:

سيكفي الذي ضيعتم من نبيكم

وينصره الحيان عمرو وعامر (تقصد الأنصار)

وأقول كما قال حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ :

فيا ويح من أمسى عدو محمد

لقد جار عن قصد الهوى وتخيرا

وكما قال كعب بن مالك:

شهدنا بأن الله لا رب غيره

وأن رسول الله بالحق ظاهـر

وأكرر دائمًا نحورنا دون نحرك يا رسول الله.

واحذر من دول أوربية تحاول عمل الشيء نفسه حتى تبعثر الجهود وتضيع وتميع المقاطعة لتنقذ الدنمارك من ورطتها التي جلبتها لنفسها فعلينا الانتباه لذلك، والله المستعان.

❁❁❁

نحن نحب المسيح ولو كرهتم محمداً ﷺ

تناقلت وسائل الإعلام المختلفة أقوال بابا الفاتيكان"بنديكت السادس عشر"، بشأن العقيدة الإسلامية والرسول ﷺ والمتعلقة

بمزاعم عن تجاهل الإسلام دور العقل ونشر تعاليمه بحد السيف، في محاضرة ألقاها بألمانيا حول الإيمان والعقل.

وقد اقتبس"بنديكت السادس عشر" مقتطفًا من كتاب إمبراطور بيزنطي يقول فيه إن محمد ﷺ لم يأت إلا بما هو سيئ وغير إنساني، كأمره بنشر الإسلام بحد السيف.

وقال البابا إنّ العقيدة المسيحية تقوم على المنطق لكن العقيدة الإسلامية تقوم على أساس أن إرادة الله لا تخضع لمحاكمة العقل أو المنطق، كما انتقد الجهاد واعتناق الدين مرورًا بالعنف بلغة مبطنة.

ومن منطلق تاريخي أضع القارئ أمام الفرق بين أتباع محمد ﷺ وبين أتباع البابوية ولا أقول أتباع المسيح من خلال القراءة في أحداث الحروب الصليبية من مصادر البابوية نفسها.

يقول وليم الصوري عن مجازر البابوية وأتباعها والتي ارتكبتها ضد المسلمين وهو أحد مؤرخي الصليبيين في كتابه:" **تاريخ الحروب الصليبية**" (اندفعوا هنا وهناك خلال شوارع وساحات المدينة مستلين سيوفهم، وبحماية دروعهم وخوذهم، وقتلوا جميع من صادفوا من الأعداء بصرف النظر عن العمر أو الحالة ودون تمييز، وقد انتشرت المذابح المخيفة في كل مكان، وتكدست

الرؤوس المقطوعة في كل ناحية بحيث تعذر الانتقال على الفور من مكان لآخر إلا على جثث المقتولين، وكان القادة قد شقوا في وقت سابق طريقاً لهم بواسطة مسالك متنوعة إلى مراكز المدينة تقريبًا وأحدثوا عندما تقدموا قتالاً لا يوصف. وتبع موكبهم حشد من الناس متعطش لدماء الأعداء ومصمم تصميمًا كاملاً على إبادتهم)، (ج ١/ ٤٣٦).

ويقول في موضع آخر من كتابه: "**تاريخ الحروب الصليبية**"، عن مجازر أتباع البابا ضد المسلمين في بيت المقدس: (وكانت المجزرة التي ارتكبت في كل مكان من المدينة مخيفة جدًا وكان سفك الدماء رهيبًا لدرجة عاني فيها المنتصرون من أحاسيس الرعب والاشمئزاز)، (ج ١/ ٤٣٦).

ويقول في موضع آخر مصورًا فيه بشاعة أتباع البابا وجرائمهم ضد المسلمين في بيت المقدس: (كان القسم الأكبر من الناس قد التجأ إلى ساحة الهيكل لأنها واقعة في قسم منعزل من المدينة، وكانت محمية حماية قوية بسور وأبراج وبوابات إلا أن هروبهم لم ينقذهم حيث تبعهم (تانكرد) على الفور بالجزء الأكبر من الجيش وشق طريقه إلى داخل الهيكل، ونقل معه حسب أحدى الروايات بعد مذبحة مخيفة كمية ضخمة من الذهب والفضة والجواهر.

وعلم القادة الآخرون، بعد أن كانوا قد قتلوا من واجهوا في الأجزاء المختلفة من المدينة أن الكثير قد هربوا للالتجاء في الأروقة المقدسة للهيكل، ولذلك اندفعوا بالإجماع إلى هناك، ودخلت مجموعة كبيرة من الفرسان والرجالة قتلت جميع الذين كانوا قد التجأوا إلى هناك. ولم تظهر أي شفقة لأي واحد منهم، وغمر المكان كله بدم الضحايا. لقد كان بالفعل حكم الله القويم الذي قضى على الذين دنسوا حرم المسيح بطقوسهم الخرافية، وجعلوه مكانًا غريبًا بالنسبة لأهله المؤمنين أن يكفروا عن خطاياهم بالموت، وأن يطهروا الأروقة المقدسة بسفك دمائهم.

وبات من المحال النظر إلى الأعداد الكبيرة للمقتولين دون هلع، فقد انتشرت أشلاء الجثث البشرية في كل مكان، وكانت الأرض ذاتها مغطاة بدم القتلى ولم يكن مشهد الجثث التي فصلت الرؤوس عنها والأضلاع المبتورة المتناثرة في جميع الاتجاهات هو وحده الذي أثار الرعب في كل من نظر إليها، فقد كان الأرهب من ذلك هو النظر إلى المنتصرين أنفسهم وهم ملطخون بالدم من رؤوسهم إلى أقدامهم. إنه منظر مشؤوم جلب الرعب لجميع من واجهوهم، ويروي أنه هلك داخل حرم الهيكل فقط قرابة عشرة آلاف من الكفرة (يقصد المسلمين) بالإضافة إلى المطروحين في كل مكان من المدينة والشوارع والساحات

حيث قدر عددهم أنه كان مساوياً لعدد القتلى داخل حرم الهيكل.

وطاف بقية الجنود خلال المدينة بحثًا عن التعساء الباقين على قيد الحياة، والذين يمكن أن يكونوا مختبئين في مداخل ضيقة وطرق فرعية للنجاة من الموت، وسحب هؤلاء على مرأى الجميع وذبحوا كالأغنام، وتشكل البعض في زمر واقتحموا المنازل، حتى قبضوا على أرباب الأسر وزوجاتهم وأطفالهم، وجميع أسرهم وقتلت هذه الضحايا، أو قذفت من مكان مرتفع حي هلكت بشكل مأساوي). (ج ١/٤٣٧).

ويشهد المؤرخ أنتوني برج، أحد أتباع البابوية مرة أخرى على مجازرهم ووحشيتهم ضد المسلمين وضد اليهود في بيت المقدس، في كتابه: **"تاريخ الحروب الصليبية"**: (وبعد فوزهم بالنصر العظيم وبعد الحرارة والخوف وسفك الدماء في اليومين أو الثلاثة الأخيرة في حالة شعور مفرط هستيري تقريبًا، وبعد ذلك لم يشكوا لحظة في أن المسلمين المدافعين عن القدس كانوا كارهين للرب ومدنسين للأماكن المقدسة وعاملين لدى أعداء المسيح، وعابدين لشيء بغيض في مكان مهجور ذكر في الإنجيل، ولذلك قاموا بقتل كل رجل وامرأة وطفل وجدوهم في المدينة بفرح وباطمئنان تامين، وهم يرون أنهم كانوا ينفذون إرادة الرب، ودامت المذبحة

طوال الليل وقسمًا من الليلة التالية، وعندما ذهب الراهب (ريموند أوف أغليرز) لزيارة منطقة الهيكل في صباح اليوم التالي وجدها قفراء مليئة بالجثث، بحيث أن المسجد الأقصى وعلى لوائه يرفرف علم (تانكرد) وقبة الصخرة كانا مليئين بجثث المذبوحين، الذين وصلت دماءهم لمستوى الركب، أما الناجون وحدهم من المدينة فكانوا الحاكم وطائفة من حرسه الذين سمح لهم (ريموند) بمغادرتها بعد دفع فدية ضخمة وتسليم خزائن هائلة، وذبح الباقون بما فيهم اليهود الذين حشدوا في معبدهم الرئيسي ثم أضرمت النار في المبني وهم أحياء، وعندما لم يبق من يقتلونه سار المنتصرون خلال شوارع المدينة التي لا تزال مفروشة بالجثث وتفوح منها رائحة الموت، إلى كنيسة القيامة لتقديم الشكر للرب لرحمته العظيمة المتنوعة، ومن أجل انتصار الصليب الذي فازوا بها بإسمه).

أما تعاملهم مع مقدسات المسلمين ومنها المسجد الأقصى نفسه فقد اقتطعوا محرابه وجعلوه مكانًا للقمامة والخنازير، وهدموا في مبني المسجد وجعلوا بعضها مساكن لهم، وبنوا فيه أبنية أخرى تخدم قسسهم ورهبانهم ومنع المسلمون من الصلاة فيه، هذا إن كان قد بقي مسلمون.

أما أخلاق المسلمين من أتباع محمد ﷺ فليس البابا مرجعًا لتعليم العالم بها والحديث عنها، فنحن نعرفها من تاريخ الفتوح الإسلامية وخصوصاً فتح بيت المقدس والأحداث التي تبعته وتحدث عنها مؤرخو النصارى البيزنطيين، وعلى البابا أن يتذكر ويقرأ في كتب البابوية كيف دخل عمر بن الخطاب ﷺ صاحب محمد ﷺ وتلميذه بيت المقدس متواضعًا بسيطًا لم يرق قطرة دم واحدة ولم يعتد على كنائسهم، ولا على حقوقهم بل ضمنها لهم بل ورفض أن يصلي في كنيسة القيامة خوفًا من أن يعتدي عليها أحد من المسلمين بعد ذلك، وكانت جيوش عمر وبقية خلفاء المسلمين من بعده تحرس كنائس النصارى أثناء أعيادهم خوفًا من الاعتداء عليها من حديثي الإسلام من النصارى أنفسهم، وقد استمر المسلمون يراعون معاهدة عمر بن الخطاب ﷺ في فتح بيت المقدس حتى لحظة استيلاء الصليبيين على بيت المقدس وذلك في يوم جمعة من سنة ٤٩٢هـ الموافق ١٥ حزيران ١٠٩٩م، والتي ذكرنا ما فعل الصليبيون أتباع البابوية بالمسلمين بعدها.

وامتدادًا لأخلاق محمد ﷺ فإن صلاح الدين حينما أعاد فتح بيت المقدس لم يقتل الصليبيين المعتدين الذين أجرموا في حق المسلمين كما ذكرنا، بل إنه بعد هذا الفتح تسامح معهم ولم يقتل فأخرج من أراد الخروج بمبالغ رمزية متفق عليها معهم ووفّى

المسلمون للنصارى بعهودهم رغم قدرتهم على أخذ أموالهم وحصد أرواحهم، وبقيت كنائسهم على ما هي عليه سوى ما أخذوه من مساجد المسلمين، وقد خرج كثير من كبرائهم وقوادهم وأمرائهم بأموالهم ولم يدفعوا عن ضعفائهم، وعلى رأس هؤلاء بطريرك القدس وجمع كبير من رجال الدين النصارى، وبذل بعض أثرياء المسلمين من أموالهم فدية عن النصارى.

وقد كان صلاح الدين ـ رحمه الله ـ رحيمًا بالضعفاء والأرامل وأعزة القوم الذين ذلوا فقد كان في القدس بعض نساء ملك الروم وقد ترهبت وأقامت به ومعها من الحشم والعبيد والجواري خلق كثير، ولها من الأموال والجواهر النفيسة شيء عظيم فطلبت الأمان لنفسها ومن معها فأمنها وسيرها بأموالها وبمن معها.

وكذلك خرجت زوجة ملك نصارى بيت المقدس، وكانت مقيمة بالقدس مع مالها من الخدم والجواري فاستأذنت السلطان في الاجتماع بزوجها الأسير عند المسلمين في نابلس فأذن لها فتوجهت إليه وأقامت عنده. وخرج البطريرك الكبير للفرنج ومعه من أموال البيع والكنائس ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وكان له من المال مثل ذلك، فلم يعرض له السلطان، فقيل له: (خذ ما معه لتقوى المسلمين فقال: لا أغدر به)، ولم يأخذ منه سوى عشرة دنانير وهي ما يؤخذ من الأفراد العاديين.

وسير جميع من يريد الخروج من الفرنجة ومعهم من يحميهم إلى ميناء صور ليركبوا إلى أوربا آمنين على أموالهم ودمائهم رغم قتلهم وسلبهم المسلمين.

ويثني المؤرخون جميعًا غربيين وشرقيين، على الموقف النبيل الذي وقفه صلاح الدين أثناء فتح بيت المقدس ويتحدثون بإعجاب شديد عن توزيعه المال والدواب على المرضى والمسنين والمحتاجين من الفرنجة، وعن إكرامه النساء ورأفته بالأطفال ورعايته للضعفاء منهم ويشهدون بأن جنوده كانوا على قدر كبير من المروءة والشهامة، فلم يقع في هذا الحادث التاريخي الخطير أي أمر من الأمور التي تقع عادة في مثل هذه الظروف على أيدي الجنود المنتصرين، والتي وقع كثير منها عندما احتل الفرنجة القدس. وليرجع البابا إلى المصادر الأوربية التي تتحدث عن هذا الجانب، ويظهر أنه لا يقرأ التاريخ وإنما ينطق من قلب أعماه كره الرسول ﷺ .

وإني أود تذكير البابوية بمحبة المسلمين العظيمة للمسيح عليه السلام وتبجيلهم له وإيمانهم بنبوته وصدقه وكرامته على الله، وإن من لا يؤمن بالمسيح رسولاً من عند الله فليس بمسلم، ومن يسبه عليه السلام يتصدى له المسلمون قبل النصارى ويدافعون عن عرضه عليه السلام كما يدافعون عن محمد ﷺ فهما بمنزلة واحدة، فأين البابا من الحوار؟

وأين البابا من معرفة حق المسلمين ونبيهم؟، وهو يتجاهل احترامنا لعيسى عليه السلام ورحمتنا بالآخرين أثناء الفتوح ومحمد ﷺ هو الذي كتب إلى هرقل مستشهدًا بقوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ الآية (٦٤) [آل عمران].

وإنني وغيري من المسلمين نتساءل أين البابا من قتل المسلمين في فلسطين وفي العراق وأفغانستان والبوسنة وخصوصًا المدنيين منهم؟.فهل دماء المسلمين في نظره دماء مستباحة وهل مازالوا في نظره مجرمين حتى وهم يقتلون ويبادون.

كما أنني بهذه المناسبة أذكر إخواني المسلمين بتعاليم سيدنا محمد ﷺ وأنه مهما فعل الحاقدون فنحن ينبغي أن نلتزم بأخلاق الإسلام ومن ذلك عدم الاعتداء على كنائس أو معابد النصارى وعدم الاعتداء على أرواح الناس ونؤكد تمسكنا بأخلاق نبينا محمد ﷺ فهي التي نشرت الإسلام، كما أذكر إخواني أن البابا وأمثاله يريدون منا الخروج عن سماحة الإسلام ليصدوا بذلك عن سبيل الله، وعلى محمد وعلى المسيح عليهما السلام.

❁❁❁

الحج والتراحم

الحمد لله الذي جعل الحج ركنًا من أركان الإسلام وأمر الناس بإجابة دعوة إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى فرض الحج على المسلمين ليتقوه وليسيروا في طريق التوحيد والإخلاص وحسن الخلق على ما سار عليه إبراهيم الخليل ومحمد ﷺ وبقية الأنبياء مجيبين لدعوتهما عليهما السلام﴿**وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**﴾ الآية (٢٧) [الحج].

ومنذ أن صدع إبراهيم عليه السلام بهذا النداء لم تنقطع الجموع المؤمنة عن مكّة ملبية نداء الخليل رافعة أصواتها بالتلبية لله والبراءة من الشرك. سالكة طريق الرحمة وحسن التعامل مع الآخرين

وقد بين الرسول ﷺ في حديث أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، قالت: يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد، قال: ((لا ولكن أفضل الجهاد حج مبرور)).[٣١]

والحج المبرور هو الذي لا يخالطه أثم كما قال بعض العلماء، وأذى الناس من أعظم الإثم ومن ذلك ما يفرق بينهم ويمزق وحدتهم ويسيء إليهم.

كما أن في الحج منافع للناس من الإلفة والتعارف والبيع والشراء والتعاون على الخير والإحسان إلى الناس ونشر الرحمة

---

(٣١) رواه البخاري في **صحيحه**، باب فضل الحج المبرور، ج ٢/٥٥٣.

والإلفة بينهم ﴿**لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ**﴾ الآية(٢٨)[الحج]. ولا شك أن هذه المنافع لا تتأتى بين الناس إلاَّ بالاختلاط والتعارف المحدد بضوابط الشرع البعيد عن الفسوق والجدال وأذى الناس وغير ذلك مما يفرق الناس وينشر البغضاء بينهم ويبعد بعضهم عن بعض بل نصت الآية على الرحمة والإحسان ويقول تعالى: ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ الآية (١٩٧) [البقرة]، ففعل الخير منصوص عليه شرعًا كما تدل الآية الكريمة.

كما أن الله سبحانه وتعالى حث الناس على التعارف في قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ الآية (١٣) [الحجرات] .

ولا شك أن اجتماع المسلمين في الحج فيه من التلاحم والتراحم والترابط ما يعرف به بعضهم بعضًا ، ويكون في هذا التعارف تواضع وعدم غطرسة أو كبرياء أو تكبر على الآخرين فأكرم الناس هم المتقين والله أعلم بالناس.

وانتشار العلم الشرعي الصحيح في حد ذاته من أهم أسباب الرحمة بين المسلمين، حيث أن التمسك بهدي النبي ﷺ هو من أهم أسباب حسن الخلق والتعامل بين الناس وقلة الخلاف، وللعلماء دور بارز في توجيه الناس في موسم الحج سواء من ذلك ما يتعلق بإرشاد الحجاج في مناسكهم أو ما يتعلق بأخلاقهم وتعاملهم مع الآخرين وسائر ما يساعدهم في أمور دينهم ودنياهم، وعلى الدعاة العاملين بين الحجاج أن يركزوا على تحبيب المسلمين بعضهم ببعض وتخلقهم بما يحب الله ورسوله من الرحمة بالآخرين والعطف عليهم وحسن التعامل معهم وزيادة التعاون والمحبة بينهم.

كما أن على الحجاج أنفسهم واجبات عظيمة فيما بينهم سواء منهم الحجاج من داخل المملكة أو خارجها فهي فرصتهم في مساعدة الآخرين بما يستطيعون.

ولا يفوتني التذكير أننا نرى في هذا الموسم العظيم أعمال بر مختلفة يقوم بها الموسرون من أبناء هذه البلاد خاصتهم وعامتهم لسقيا الحجاج وتقديم الطعام لهم مما أنعم الله به عليهم مما يجعل المسلم يحس بعمق بتلاحم إخوانه المسلمين ورحمتهم لبعضهم البعض وخدمة بعضهم لبعض في مثل هذا الموسم العظيم.

كما أن أناسًا أكثر يقدمون بأنفسهم خدمات وإحسان للآخرين سواء بصفتهم الفردية أو الرسمية هي من باب الرحمة والتعاون على البر والتقوى ونشر الرحمة بين العباد، فحري بالحاج نفسه استشعار الرحمة بالآخرين والإحسان إليهم والبعد عن كل ما يؤذي الآخرين بأي شكل من الأشكال، والله المستعان وعليه وحده التكلان.

❁❁❁

دعوة الجاليات في المملكة العربية السعودية
في عهد خادم الحرمين الشريفين

مقـدمة:

الحمـد للّه رب العـالمين والصـلاة والسـلام علـى أشـرف الأنبيـاء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فإن اللّه سبحانه وتعالى قد خلق الخلق لعبادته، ودعا الناس إلى السلام في الدارين: ﴿**وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ الآيـة (٢٥) [يـونس]. ودار السـلام تتطلـب الهدى والدخول في الصراط المستقيم، وجزاء الاستقامة على دين اللّه سبحانه وتعالى، مولاة اللّه والأمن في الدارين.

﴿**لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ الآية (١٢٧) [الأنعام].

ولـذلك فـإن الـدعوة إلى الإسـلام هـي دعـوة للخـروج عـن طريـق الشيطان والدخول في السلم مع اللّه سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾ الآية(٢٠٨) [البقرة].

والدعوة إلى اللّه هي منهج الأنبياء والمرسلين وهم أفضل الخلق وهداته إلى منهج اللّه والصراط المستقيم.

ودين الإسلام هو الدين الحق الذي جاء به جميع الأنبياء منذ آدم عليه السلام وخاتمهم محمد ﷺ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي**

﴿السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ الآية (٢٠٨) [سبأ].

وواجب الدعوة إلى الله حمله علماء الأمة ودعاتها بعد رسول الله ﷺ.

وقد عاشت المملكة ظروفًا تنموية مختلفة خلال العشرين سنة الماضية، وجد خلالها على أراضي المملكة الكثير من الجاليات الأجنبية من المسلمين ومن غير المسلمين، وقد استدعى وجودهم قيام أنشطة مختلفة لدعوة المسلمين منهم للمنهج الصحيح والعلم الشرعي النافع، ودعوة غير المسلمين إلى الإسلام والدين الصحيح.

وقد كانت هذه الأنشطة عفوية في البداية ثم تطورت تدريجيًا حتى أصبحت لها مكاتب دعوية متخصصة مدعومة من الجهات الرسمية وعلى رأسها إدارة البحوث العلمية سابقًا ووزارة الشؤون الإسلامية حاليًا.

كما يشارك في تلك الأنشطة الدعوية لغير المسلمين وهي موضوع بحثنا هذا كل من الشؤون الدينية في القوات المسلحة، وكذلك جهاز الدعوة والإرشاد بالحرس الوطني وغيرها من الجهات ذات العلاقة بهذا الموضوع.

والبحث يتحدث عن نشأة دعوة الجاليات في المملكة العربية السعودية، ويركز على تطورها في عهد خادم الحرمين الشريفين ـ وفقه الله ـ، وعلى الجهود المبذولة في هذا الجانب، و هذا الموضوع طويل جدًا يصعب حصره، بل ربما يقصر الإنسان في رصد أسماء المكاتب ذات العلاقة بدعوة الجاليات في المملكة لتطور المعلومات ذات العلاقة، وعدم الوصول إلى كل المنشورات والوثائق ذات الصلة بالموضوع ولذلك فإني أعتذر سلفًا عن ما فيه من تقصير.

كما لا يفوتني أن أنوه ببحثين رئيسين أجريا حول الموضوع أفدت منها كثيرًا بل أعد كثيرًا مما كتبته عالة عليهما وهما:

- بحث الدكتور عبد الله بن إبراهيم اللحيدان، "**دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في مدينة الرياض**"، دارسة ميدانية، وهو رسالة دكتوراه غير منشورة قدمها الباحث لقسم الدعوة بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٧هـ.

- بحث آخر قام به الأستاذ خالد عيسى عسيري من مركز البحوث والدراسات الإسلامية بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وعنوانه: "**الدعوة الإسلامية بين**

الجاليات في المملكة العربية السعودية"، دارسة مدينة الرياض، ١٤٢٧هـ، (غير منشور).

كما أنني عدت إلى عدد من التقارير والأنظمة المتوفرة لدى وزارة الشؤون الإسلامية، بالإضافة إلى التقارير الخاصة الصادرة عن مكاتب توعية الجاليات وغيرها من المكاتب الرسمية الدعوية.

وبهذه المناسبة فإني أشكر وزارة الشؤون الإسلامية ممثلة في وكالة الوزارة لشؤون الدعوة، وفي مكتب العلاقات العامة، وفي مركز البحوث والدراسات الإسلامية فيها، كما أشكر الباحث الدكتور عبد الله اللحيدان، والأخ الأستاذ خالد عسيري، وكل من قدم لي عونًا في إنجاز هذا البحث.

وأخيرًا: فإني أذكر ذوي العلاقة بدعوة الجاليات بأن الله لا يضيع أجر المحسنين، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظنا وإخواننا المسلمين وبلادنا من كل سوء، وأن يديم علينا نعمه، وأن يعيننا على القيام بواجبنا في الدعوة إلى الله وحمله هداه لخلقه.

تمهيد:

دعوة الجاليات:

الدعوة في اللغة العربية هي النداء، وإذا دعا إنسانًا فقد ناداه وأذن له، ومنه تأتي الدعوة إلى الطعام أو الوليمة.

أما الدعوة إلى الإسلام في الاصطلاح، فتعني [العمل والجهد المبذول نشرًا وتبليغًا لمبادئ الدعوة].(٣٢)

والدين الحق الصحيح عند الله هو الإسلام الذي يدعى له إلى قيام الساعة.

﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ الآية (١٩) [آل عمران].

وقد كان الداعية الأول لهذا الدين هو محمد ﷺ حيث كان ينفذ أمر الله تعالى: ﴿**فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾ الآية (١٥) [الشورى].

ولا شك أن الدعوة إلى الإسلام هي دعوة لدين الله الذي ارتضاه لخلقه، ولذلك وجب علينا دعوة أصحاب الديانات الباطلة إلى

---

(٣٢) د. عبد الله اللحيدان، **دعوة غير المسلمين إلى الإسلام**، ط ١، الرياض، ١٤٢٠هـ، ص ١٨.

الحق ورضا الله سبحانه وتعالى والفرار من الخسران: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ الآية (٨٥) [آل عمران].

وأهل الديانات السماوية كانوا على الإسلام قبل تحريفها، ففارقوه بفعل إغواء شياطين الإنس والجن واختلافهم وخلافهم لأمر الله الحق مع علمهم لكنهم افتروا على الله وأخرجوا الناس من التوحيد إلى الشرك.

﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ الآية (١٩) [آل عمران].

ولذلك فقد أوجب الله على عامة المسلمين الدعوة إليه وإيصال كلمة التوحيد ومجادلة المخالفين لدين الله بالحكمة وبالموعظة الحسنة.

﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ الآية (١٢٥) [النحل].

ولا شك أن أهل الأرض جميعًا من الإنس والجن منذ أن هبط آدم عليه السلام وزوجه عليها طلب منهم إتباع هدى الله والبعد عن

الضلالة، لذلك فإن الدعوة إلى الله دلالة للخلق على طريق الحق والسعادة، وإبعادهم عن طريق الشقاء.

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ الآيات (١٢٣)، (١٢٤) [طه].

وقد أمر الله بإسماع كلمة الحق للمشركين ومن في حكمهم من غير المسلمين في الظروف المختلفة حتى في حالة الخوف والحرب:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ الآية(٦) [التوبة].

وهدف الدعوة أن لا يعبد أحد إلا الله وأن لا يعبد إلا بما شرع وبما يرضاه وهذا هو مرتكز دعوة غير المسلمين.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ الآية (٦٤) [آل عمران].

ولا شك أن الكفار وخصوصًا النصارى من أنشط الناس في جذب الخلق إلى باطلهم وصد الناس عن الإسلام وتوحيد الله وبالتالي، فلا بد من مواجهتهم بدعوتهم إلى الحق والهدى والنجاة من غضب الله:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاء وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ الآيات (٩٩)، (١٠٠) [آل عمران].

إن الدعوة إلى الله هي طريق محمد ﷺ ومن سار على دربه واهتدى بهديه، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الآية (١٠٨) [يوسف].

كما أن دعوة غير المسلمين إلى الإسلام لا تعني بأي حال من الأحوال إجبارهم على الدخول فيه، لكنها تعني إسماعهم كلمة الخير والحق والهدى:

﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الآية (٢٥٦) [البقرة].

والجاليات يقصد بها في هذا البحث كل من هو أجنبي سواء كان من المسلمين أو من غير المسلمين.

أهداف توعية الجاليات:

تنطلق أهداف دعوة وتوعية الجاليات في المملكة العربية السعودية بمختلف القطاعات التي تؤدي دورها في هذا الجانب سواء كانت رسمية أو تعاونية من خدمة الإسلام بالدعوة إليه وتبصير المسلمين بأمور دينهم، وهذا يتسق مع ما عرف عن المملكة العربية السعودية أنها إنما قامت على خدمة الإسلام والمسلمين.[٣٣]

وقد تحدثت معظم النشرات والتقارير التي أصدرتها الجهات المختصة بدعوة الجاليات عن أهدافها في هذا المجال كل على حدة،[٣٤] وقد جرت دراسة هذه الأهداف بالإضافة إلى الأهداف الدعوية العامة وتلخيصها في بحوث سابقة نستقي منها:

---

(٣٣) د. عبد الله اللحيدان، **مصدر سابق**، ص ٣٠٢. خالد عيسى عسيري، **الدعوة الإسلامية بين الجاليات في المملكة العربية السعودية**، دراسة مدينة الرياض، مركز البحوث والدراسات الإسلامية بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٧هـ، ص ٧٧.

(٣٤) انظر: مثلاً نشرة المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالحمراء وسط جدة، التقرير الثاني ١٤٢١هـ. وانظر: اللائحة التنظيمية

- ترسيخ القيم والمفاهيم الإسلامية في نفوس المسلمين.
- تيسير إيصال الوسيلة الدعوية المناسبة للمدعوين من أبناء الجاليات من الكتب المترجمة أو الأشرطة والنشرات المطلوبة.
- القيام بتيسير الإجراءات اللازمة لإشهار إسلام المسلمين الجدد وتسجيل ذلك في الأوراق الرسمية.
- تهيئة الأجواء المناسبة لمتابعة المسلمين الجدد ومساعدتهم على فهم الإسلام وتطبيقه، وذلك بإعداد البرامج المناسبة من المحاضرات والدروس، ورحلات الحج والعمرة.
- تعليم الجاليات الوافدة اللغة العربية باعتبارها مفتاحًا لفهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.
- تنشيط وتصحيح حركة الترجمة والتأليف لغير المسلمين على منهج السلف الصالح.

للمكاتب التعاونية للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد).

- إعداد النخبة المهتدية المتثقفة من أبناء الجاليات، كي يصبحوا دعاة ملمين بأمور دينهم ومؤهلين للقيام بواجب الدعوة عند عودتهم إلى بلادهم.[٣٥]

- التعاون مع الجهات المختصة فيما يتعلق بدعوة غير المسلمين وبدخول المهتدين إلى الإسلام وما يبتع ذلك من إجراءات مختلفة.[٣٦]

- [تقليل الآثار الاجتماعية والثقافية التي قد تنجم عن وجود غير المسلمين، وذلك باطلاعهم على محاسن الإسلام وأصوله ومبادئه و لا سيما أنهم يرون تطبيق أحكامه وتطبيق حدوده].[٣٧]

- [تصحيح النظرة الخاطئة التي قد توجد عند بعض الجاليات عن المملكة العربية السعودية وعقيدتها وثقافتها التي أوجدها

---

(٣٥) د. عبد الله بن إبراهيم اللحيدان، **دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في مدينة الرياض**، دراسة ميدانية، رسالة دكتوراه غير منشورة، ج٢/٣٠١، ٣٠٢.

(٣٦) خالد عيسى عسيري، الدعوة الإسلامية بين الجاليات في المملكة العربية السعودية، دراسة مدينة الرياض، ص ٩٦.

(٣٧) د. عبد الله بن إبراهيم اللحيدان، **دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في مدينة الرياض**، ج ١/٣٠١.

عندهم بعض وسائل الإعلام أو الجهات المغرضة الحاقدة على الإسلام].[٣٨]

- مواجهة الحملات التي يقوم بها دعاة التنصير من بلاد الجاليات الوافدة، حيث يقومون بدعوتهم إلى النصرانية كما يقومون بتشويه صورة الإسلام في نظرهم ويحولون بينهم وبينه بطرق سرية أثناء إقامتهم في المملكة.[٣٩]

وأخيرًا فإن دعوة الجاليات تنطلق من الهدف العام وهو خدمة الإسلام والمسلمين وإعلاء كلمة الله، وهذا ما يتماشى مع دين وسياسة المملكة، وهما أصل واحد، ولله الحمد.[٤٠]

---

(٣٨) د. عبد الله بن إبراهيم اللحيدان، **دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في مدينة الرياض**، ج ١/٣٠١.

(٣٩) انظر: د. عبد الله بن إبراهيم اللحيدان، **دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في مدينة الرياض**، ج ١/٣٠١.

(٤٠) د. عبد الله بن إبراهيم اللحيدان، **دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في مدينة الرياض**، ج ١/٣٠١. المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد شمال الرياض (**تقرير إدارة المكتب**)، ١٤١٥هـ، ص ٦. المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد شمال الرياض (**نشرة تعريفية**)، ١٤١٧هـ. المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد شمال الرياض (**نشرة تعريفية**)، ١٤٢١هـ

المملكة وتنظيم دعوة الجاليات:

قامت المملكة العربية السعودية ـ ولله الحمد ـ على الدين الإسلامي الذي من مقتضياته الدعوة إليه وتحبيبه للناس، كما أن المملكة موطن الحرمين الشريفين وفيها قبلتهم التي يتوجهون إليها في كل صلاة، وبها مشاعر الحج المختلفة حيث يقدم إليها المسلمون من كل مكان طيلة العام، مهما كانت الظروف والأحوال، وقد قامت المملكة ـ ولله الحمد ـ بدعم الدعوة الإسلامية في كل مكان من أنحاء العالم، فكانت لها أنشطتها الدعوية في البلاد الإسلامية المختلفة وبين الجاليات المسلمة، كما أنها دعمت كل ما يخدم الإسلام والمسلمين من بناء للمساجد والمدارس، وتوزيع للمصاحف والكتب والأشرطة وغيرها في كل مكان في العالم.

ومن هنا فإن المقيمين في المملكة من أبناء الجاليات المختلفة مسلمة وغير مسلمة هم أحق الناس بالدعوة والهدى في مهبط الوحي وموطن الإسلام الأول وقبلة المسلمين.

ومن المعروف أن دعوة الجاليات كانت تسير بشكل بسيط من قبل مكاتب الدعوة وربما بشكل فردي أكبر من قبل العديد من الدعاة المحتسبين المجتهدين المجيدين للغات الأجنبية.

وقد أصبحت المملكة العربية السعودية من أهم بلدان العالم في استقطاب الجاليات المختلفة لما تمر به ـ ولله الحمد ـ من استقرار وتنمية تطلبت وصول أعداد كبيرة من أبناء الدول المختلفة، وبالطبع ففي هؤلاء الوافدين مسلمون وغير مسلمين، وقد استدعى هذا الأمر توعية المسلمين منهم التوعية الشرعية الصحيحة، كما تطلب الحال القيام بالواجب الشرعي تجاه غير المسلمين بدعوتهم إلى الإسلام وبيان الدين الصحيح لهم والسعي لنجاتهم من عذاب الله وجرهم إلى سعادة الدارين الدنيا والآخرة.

ومن المعروف أن المملكة موطن الحرمين الشريفين وحيث إن الشريعة الإسلامية وأنظمة المملكة تمنع دخول غير المسلمين لمكة المكرمة والمدينة المنورة، فقد كان من الضروري وجود مكاتب تقوم بالدور الرئيس في تنظيم الدعوة بين غير المسلمين واستخراج الوثائق اللازمة لثبوت إسلامهم وجواز دخولهم لتلك البقاع المقدسة.

ولهذا فإن أول القرارات الرسمية المتعلقة بتنظيم شؤون الجاليات ومن يدخل في الإسلام منهم صدرت في عهد الملك سعود ـ رحمه الله ـ من خلال القرار رقم ١١ في ١٣٧٧/٠١/١٨هـ والذي ينص على تعليمات "السماح بدخول معتنقي الدين الإسلامي حديثاً إلى الحرمين الشريفين: مكّة والمدينة".

وأما مجال دعوة غير المسلمين فإنه [للندوة العالمية للشباب الإسلامي دور ريادي في مجال دعوة غير المسلمين عند بدايته، وذلك لوجود الدعاة الذين يتحدثون اللغة الانجليزية وغيرها من اللغات، كما كان للندوة ولمكتب رابطة العالم الإسلامي بالرياض دور في إقامة المحاضرات وإعداد الكتب والمطويات لدعوة غير المسلمين حيث قامت لجنة الدعوة الإسلامية بالندوة العالمية بجهود كبيرة في دعوة غير المسلمين، وإقامة الدروس لمساعدة المسلمين الجدد على فهم الإسلام، كما قامت بطباعة عشرات الآلاف من الكتب ومئات الآلاف من النشرات التي تعرف بالإسلام بمختلف اللغات قبل أن تنشأ شعبة توعية الجاليات، فمع تزايد عدد المسلمين الجدد ظهرت الحاجة إلى إيجاد جهة تهتم بأمورهم وترعى شؤونهم، فنشأت شعبة الجاليات بالرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية في عام ١٤٠٦هـ].(٤١)

وذلك في عهد خادم الحرمين الشريفين حيث حرص سماحة المفتي الشيخ عبد العزيز ابن باز ـ رحمه الله ـ على تنشيط الدعوة بين غير المسلمين ، فأنشأ أول شعبة لتوعية الجاليات بالرئاسة

(٤١) د. عبد الله بن إبراهيم اللحيدان، **دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في مدينة الرياض. دراسة ميدانية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، ج ١/٢٩٧.

العامة لإدارات البحوث العلمية تهتم بأمور المسلمين الجدد وترعى شؤونهم.[٤٢]

وقد مرت هذه الإدارة بعدة مراحل تطويرية، وخصوصاً بعد تأسيس وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد في عهد خادم الحرمين الشريفين ـ وفقه الله ـ.[٤٣]

كما حرصت جهات مختلفة على رأسها الشؤون الدينية بوزارة الدفاع والطيران بالمشاركة في هذه الأنشطة بتأسيس مكاتب خاصة بها في قطاعات مختلفة تابعة لها.[٤٤]

المكاتب التعاونية لدعوة الجاليات:

وفي عام ١٤٠٧هـ افتتح أول مكتب تعاوني لدعوة الجاليات في المملكة بقرار من سماحة المفتي الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ وجهه لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن محمد التويجري

---

(٤٢) اللحيدان، مصدر سابق، ص ٢٩٧. خالد عسيري، الدعوة الإسلامية بين الجاليات في المملكة العربية السعودية، دراسة مدينة الرياض، ص ٧٧.

(٤٣) لمزيد من الاطلاع حول تنظيم هذه الإدارة انظر: اللحيدان، **مصدر سابق**، ص ٢٩٧، خالد عسيري **الدعوة الإسلامية بين الجاليات في المملكة العربية السعودية**، دراسة مدينة الرياض، ص ٨٥ ـ ٩٠.

(٤٤) انظر: التقرير الشامل لمكتب توعية الجاليات بالخدمات الطبية للقوات المسلحة.

بالسماح بافتتاح مكتب لتوعية الجاليات بالقصيم (بريدة) عد في نظر الباحثين أول مكاتب توعية الجاليات التعاونية في المملكة.[٤٥]

وفي عام ١٤٠٩هـ تمت موافقة سماحة الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية على افتتاح أول مكتب تعاوني لدعوة الجاليات بالرياض.[٤٦]

ثم توالت سلسلة المكاتب بعد ذلك في مختلف مناطق ومدن المملكة، وتكاثر عدد الداخلين في الإسلام عن طريق تلك المكاتب وعن طريق الجهود المختلفة الأخرى مما استدعى دراسة وضع المسلمين الجدد وما يعترضهم من مشكلات، وما يظهر لهم من حاجات، وبهذا الصدد فقد [رفع لسماحة الشيخ: عبد العزيز ابن باز ـ رحمه الله ـ الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد سابقاً ـ والمفتي العام للملكة ورئيس هيئة كبار العلماء ـ عن بعض المضايقات التي يتعرض لها بعض المسلمين الجدد من قبل بعض أصحاب الأعمال من شركات مؤسسات وغيرها، واقترح سماحته أن تشكل لجنة على مستوى عال من

(٤٥) اللحيدان، **مصدر سابق**، ص ٢٩٧، وزارة الشؤون الإسلامية.
(٤٦) اللحيدان، مصدر سابق، ص ٢٩٩. خالد عسيري، الدعوة الإسلامية بين الجاليات في المملكة العربية السعودية، دراسة مدينة الرياض، ص ٧٩.

وزارات الداخلية والعدل والعمل والشؤون الاجتماعية والرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد لدارسة هذا الموضوع في كتابه ذي الرقم ١٣/٧٥ المؤرخ في ١٤١٠/٠٣/١٨هـ، وتمت موافقة صاحب السمو الملكي وزير الداخلية بالنيابة على ذلك في كتابه ذي الرقم ٢ س ١٢٣٢٢ المؤرخ في ١٤١٠/٠٨/٠٦هـ، وحددت مهمة اللجنة فيما يلي:

١ . دراسة موضوع تعرض بعض المسلمين الجدد لبعض المضايقات من قبل بعض أصحاب الأعمال من شركات ومؤسسات وغيرها.

٢ . تعيين جهة مسؤولة عن المسلمين الجدد يتم إبلاغها عن كل مسلم جديد ومقر عمله لرعايته ومتابعة وضعه، وليرفع إليها ما قد يلاقيه من مشكلات.

وقد تم تكوين لجنة خماسية من الجهات الأربع ضمت مندوبًا من كل من وزارة العدل ووزارة العمل والإفتاء ومندوبين من وزارة الداخلية.[٤٧]

---

(٤٧) خالد عسيري، الدعوة الإسلامية بين الجاليات في المملكة العربية السعودية، دراسة مدينة الرياض، ص ٥٥.

وبعد عدة اجتماعات رأت اللجنة ما يلي:

- أنه انطلاقًا من حرص حكومة خادم الحرمين الشريفين ـ وفقها الله ـ على الدعوة الإسلامية في الداخل والخارج، وإرسال الدعاة إلى بقاع العالم للتعريف بهذا الدين، والدعوة إليه من منطلق حمل المملكة لواء الإسلام.
- أن وجود هذه الجاليات غير المسلمة في البلاد فرصة لدعوتهم إلى السلام لما يلي:
  - لسهولة ذلك بسبب قربهم وتأثرهم بما يرونه من سماحة الإسلام وأثره في المجتمع في أمنه وطمأنينته.
  - لبعدهم عن بيئاتهم ومعتقداتهم، الأمر الذي يجعل من أسلم منهم ينقل لبلاده عند عودتهم إليها صورة حسنة وسمعة طيبة عن المملكة، وهو ما يؤثر في مجتمعاتهم ويحبب إليهم الإسلام.

ومن هذا المنطلق أوصت اللجنة بما يلي:

١ . تخصيص مكتب في مراكز الدعوة والإرشاد التابعة للرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد يهتم بأمور الجاليات المسلمة، وخاصة المسلمين الجدد، وذلك بمتابعة أحوالهم وحل مشاكلهم

المترتبة على دخولهم الإسلام حديثاً وتقديم الدعم اللازم لتلك المكاتب.

٢ . تزويد مركز الدعوة والإرشاد المختص من قبل المحكمة التي في مدينته أو منطقته بنسخة أصلية من وثيقة إثبات إسلام معتنقي الدين الإسلامي الجدد لتسجيلهم لديه لسهولة متابعة أحوالهم فيما بعد.(٤٨)

٣ . التعميم من قبل وزارة الداخلية على أصحاب الأعمال كافة من شركات ومؤسسات وأفراد الذين تحت كفالتهم أيد عاملة غير مسلمة بما يلي:

- بوجوب العمل بكل الوسائل الممكنة لترغيبها في الإسلام.
- وتمكين من يسلم منهم من إقامة شعائر الإسلام أسوة بإخوانهم في الإسلام.
- وعدم التضييق عليهم.

ومن يخالف ذلك من أصحاب الأعمال أو تابعيهم يحال إلى القضاء الشرعي لتقرير الجزاء الرادع في حقه، ويشار في التعميم إلى أن مراكز الدعوة والإرشاد بالمملكة هي الجهة المختصة

(٤٨) خالد عسيري، الدعوة الإسلامية بين الجاليات في المملكة العربية السعودية، دراسة مدينة الرياض، ص ٥٥ ـ ٥٦.

لمتابعة ورعاية أحوال المسلمين الجدد، كما يشار فيه إلى حث أصحاب الأعمال على أن يكون مراقبي العمال والمسؤولون المباشرين من المسلمين.

وقد رفع سماحة الشيخ محضر اللجنة المذكورة مرافقًا لخطابه ذي الرقم ١/٥٠٨ س والمؤرخ في ١٤١١/٠٧/٢٧هـ إلى صاحب السمو الملكي وزير الداخلية طالباً منه الموافقة على ما تضمنه المحضر، وقد أجابه سمو وزير الداخلية بخطابه ذي الرقم ١١٩٩٤ والمؤرخ في ١٤١١/٠٩/١٦هـ بالموافقة على طلب سماحته، وتعميد الجهة المختصة في وزارة الداخلية بالتنفيذ.

وقد أصدرت وزارة الداخلية تعميمها ذا الرقم ٨٤٨٧٤/١٢ والمؤرخ في ١٤١١/١٢/٠٧هـ لعموم الإمارات، ويحتوي على ما يلي:

حيثيات التعميم:

- بالإشارة إلى العمال الوافدين إلى هذه البلاد من غير المسلمين.
- ونظرًا لما تحرص عليه حكومة خادم الحرمين الشريفين ـ وفقها الله ـ من الدعوة الإسلامية في داخل البلاد وخارجها.
- وللاستفادة من نشر الإسلام بين هؤلاء الوافدين.

- ما طلب في التعميم وهو ما يلي:
- طلب التعميم من جميع الإمارات التعميم على أصحاب الأعمال كافة من شركات مؤسسات وأفراد الذين تكون تحت كفالتهم أيدي عاملة غير مسلمة ما يلي:

١ .وجوب العمل بكل الوسائل الممكنة لترغيبهم في الإسلام.

٢ .تمكين من أسلم منهم من إقامة شعائر الإسلام أسوة بإخوانهم المسلمين.

٣ .عدم التضييق عليهم.

٤ .من يخالف ذلك من أصحاب الأعمال أو تابعيهم يحال إلى القضاء الشرعي لتقرير الجزاء الرادع بحقه.

٥ .أن مراكز الدعوة والإرشاد بالمملكة هي الجهة المختصة لمتابعة ورعاية أحوال المسلمين الجدد.

٦ .أن يكون مراقبو العمل والمسؤولون المباشرون عنهم من المسلمين.

وقد تجلى حرص حكومة خادم الحرمين الشريفين على دعوة الجاليات غير المسلمة التوجيه السامي بقيام مراكز الدعوة والإرشاد في جميع أنحاء المملكة بدعوة الجاليات]. (٤٩)

ومما سبق يتضح أن الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية ووزارة الداخلية وما يرتبط بها وخصوصًا إمارات المناطق أولت عناية خاصة بدارسة أحوال المسلمين الجدد والتعاون مع مكاتب دعوة الجاليات بما يخدم الدعوة إلى الإسلام والعناية بهؤلاء المسلمين وحفظ حقوقهم وتسهيل ما يعترضهم من مصاعب.

توزيع مكاتب الجاليات:

بدأت أول مكاتب دعوة الجاليات في عهد خادم الحرمين الشريفين وتكاثرت مما يصعب معه حصرها، بل إن الباحث يفاجأ بوجود عدد كبير منها في المدينة الواحدة، ومع كبر حجم مدن المملكة ـ حرسها الله ـ فإن هذه المكاتب المتعددة في المدينة الواحدة قد لا تسد الحاجة القائمة، نظراً لكثرة أبناء الجاليات وللكثافة السكانية في تلك المدن وامتداد خدمات بعض هذه

(٤٩) ما بين القوسين بنصه من خالد عسيري، **الدعوة الإسلامية بين الجاليات في المملكة العربية السعودية**، دراسة مدينة الرياض، ص ٥٥ ـ ٥٨، وقد حرصت على اقتباسه رغم طوله لأنه استند إلى مذكرات وقرارات رسمية يصعب الوصول إليها.

المكاتب لأحياء متعددة، وبفضل الله فإن استمرار فتح مكاتب جديدة لم يتوقف، ومن خلال البحث يمكن التعرف على بعض هذه المكاتب وفروعها، وقد اتضح من الإحصاءات أنها تجاوزت (١١٥) مكتبًا، وما أذكره في البحث ليس حصرًا، ومن هذه المكاتب:[٥٠]

---

(٥٠) استندت في معرفة هذه المكاتب إلى بيانات الشؤون السلامية وهي غير منشورة، كما استندت إلى **نشرات بعض المكاتب** ومنها:

نشرة مكتب توعية الجاليات التعاوني بالحمراء والكورنيش، جدة، ١٤٢١هـ.

نشرة المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات في محافظة طريف، التقرير الأول، ١٤٢١هـ.

نشرة المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالطائف، ١٤٢١هـ.

نشرة المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بمحافظة الداير، ١٤٢١هـ.

نشرة المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات في حوطة بني تميم، ١٤٢١هـ.

نشرة المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بجبل خاشر، ١٤٢٠هـ.

نشرة المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالبديعة، مسيرة وخطوات، وقد وضعت النشرة عناوين وهواتف عدد كبير من مكاتب دعوة الجاليات في مختلف أنحاء المملكة.

نشرة المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالجبيل.=

مكاتب مدينة الرياض: مكتب البطحاء، مكتب البديعة، مكتب الشمال، مكتب الربوة، مكتب الروضة، مكتب السلي، مكتب النسيم، مكتب أم الحمام، الشفاء مكتب سلطانة، العليا والسليمانية، العزيزية، الصناعية الجديدة، السويدي، المنطقة الصناعة القديمة، النظيم.(٥١)

مكاتب المنطقة الوسطى: القويعية، الدلم، حوطة بني تميم، الدوادمي، عفيف، شقراء، الدرعية، الخرج، ضرماء، الرين، السليل، تمير، الأفلاج، المجمعة، الزلفي، الغاط، حوطة سدير، حريملاء، المزاحمية، ثادق، جلاجل.

=**نشرة** المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية بالقويعية، ١٤١٥هـ.

نشرة المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بمحافظة الداير.

نشرة المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات في شمال الرياض، ١٤٢١هـ.

نشرة المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات في شرق جدة.

نشرة المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات في البطحاء بالرياض، ١٤٢١هـ.

نشرة المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالدلم، ١٤٢١هـ.

(٥١) المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد شمال الرياض، (**نشرة تعريفية**) ١٤١٧هـ، ص ٢٤.

مكاتب المنطقة الشرقية: الأحساء، حفر الباطن، الخبر، الجبيل، بقيق، الدمام(الشعبة)، المبرز، حرض، النعيرية، التعاوني بالدمام، رأس تنورة، الخفجي،[٥٢] قرية العليا، مركز العيون.

مكاتب منطقة القصيم: بريدة حي البشر، شرق بريدة، صناعية بريدة، بريدة فرع الوطنية،بريدة الخبيب، بريدة الفايزية، جنوب بريدة، بريدة النسائي، البدائع، أبا الورود، البصر، دخنة، الربيعية، صبيح، شري البطين، الشماسية، الشيحية، رياض الخبراء، البكيرية، ضراس، ضرية، عيون الجواء، الفوارة، عقلة الصقور، قبة قصيباء، قليب الترمس، كبد، مطار القصيم، القوراة، المذنب، المريدسية، النبهانية، فيد.[٥٣]

مكاتب مدينة جدة: طريق مكّة مشرفة السلام الصناعية حي البلد، الحراء، الحمراء، والكورنيش، ووسط جدة، شرق جدة، العزيزية.

المنطقة الغربية: مكّة المكرمة، الطائف، الموية، أم الدوم، بني سعد، الحفائر، رابغ، المظليف، القريع، بني مالك، القنفذة، الحوية.

---

(٥٢) **منشورات مكتب توعية الجاليات**،الأحساء (الهفوف) لعام ١٤٢١هـ، (خطة الشؤون الدعوية).

(٥٣) مركز توعية الجاليات بالقصيم، **التقرير الشامل**، ١٤٢٢هـ، ص ٣.

منطقة المدينة: المدينة، العلاء، ينبع البحر، ينع الصناعية، الواسطة، خيبر، بدر، الحناكية.

منطقة تبوك: تبوك، تيماء.

مكاتب المنطقة الجنوبية: أبها، خميس مشيط، ظهران الجنوب.

منطقة الباحة: الباحة، بلجرشي.

مكاتب منطقة نجران: نجران، شرورة، يدمة.

مكاتب منطقة حيزان: حيزان، الداير، الخاشر، بني غازي، قيا بالحارث، نيد الضالع، هروب، وادي جازان، الحقو، العارضة.

مكاتب المنطقة الشمالية والجوف: طريف، عرعر، سكاكا، طبرجل، القريات.

منطقة حائل: مكتب حائل، بقعاء، جبة، فيد، موقق.

وتبين هذه المكاتب المتفرقة في أنحاء المملكة تبين شمول توعية الجاليات لكل أنحاء المملكة وحب الناس في هذه البلد للخير وهداية الناس.

التنظيم الإداري لمكاتب الجاليات:

تختلف مكاتب توعية الجاليات من حيث حجم العمل وتوفر الإمكانات والطاقات وبالتالي فإن تنظيمها الإداري يخضع لحجمها وإمكاناتها وعلى وجه العموم فإن المكاتب الكبرى تقوم على تنظيم إداري جيد متشابه إلى حد ما، كما تعتمد تلك المكاتب على لجان مساعدة مختلفة تقوم بتوزيع الأعمال فيما بينها.[٥٤]

وباستطلاع عدد من نشرات مكاتب توعية الجاليات وبعض الدراسات يمكن تحديد تلك الأقسام على النحو التالي:[٥٥]

- مجلس الإدارة.
- مدير المكتب.
- قسم العلاقات العامة والإعلام.
- الشؤون المالية.

---

(٥٤) شعبة دعوة وتوعية الجاليات بمحافظة الخرج (**التقرير الخامس**)، ١٤١٩هـ.

(٥٥) خالد عسيري، **الدعوة الإسلامية بين الجاليات في المملكة العربية السعودية**، دراسة مدينة الرياض، ص ١٠٣. المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد شمال الرياض (**نشرة تعريفية**)، ١٤١٧هـ، ص ١٠.

- قسم التعليم.
- قسم الزيارات الميدانية والمناشط.
- المكتبة العامة.
- قسم الترجمة والنشر.
- قسم الحاسب الآلي.[٥٦]
- قسم متابعة المسلمين الجدد.
- قسم المستودع والتخزين.

الشؤون الدينية بوزارة الدفاع:

تعد وزارة الدفاع والطيران من أكثر الجهات في المملكة التي يوجد بها عدد من العاملين من جاليات مختلفة سواء في قطاعات التدريب أو الصيانة، أو الخدمات الطبية،[٥٧] وبالتالي فقد نهضت الشؤون الدينية بالوزارة بهذه المهمة بدعم خاص من صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز، وزير الدفاع والطيران والمفتش العام، حيث قامت بالاتصال بالجاليات ذات العلاقة بوزارة

(٥٦) المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالنسيم، (**التقرير العام**)، ١٤١٦هـ.

(٥٧) انظر: التقرير الشامل لمكتب وتوعية الجاليات بالخدمات الطبية للقوات المسلحة.

الدفاع والطيران وتعريفهم بالمملكة وبالدين الإسلامي في كافة القطاعات التابعة لوزارة الدفاع والطيران وفي جميع مناطق المملكة، وكان لجهودهم المباركة دور كبير في اعتناق الإسلام من قبل عدد كبير من الجاليات المختلفة وخصوصًا في فترة أزمة الخليج حيث تواجدت أعداد من القوات الأجنبية قامت الشؤون الدينية بترتيب وتنظيم الكثير من الأنشطة بين تلك القوات.

جهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني:

من المعروف أن الحرس الوطني قطاع عسكري مهم يحتاج إلى وجود عدد من المنتمين لجاليات أخرى في قطاعاته المختلفة سواء في مجال التدريب والصيانة العسكرية أو في مجال الخدمات الطبية وغير ذلك من الأمور المختلفة، ولذلك فإن جهاز الإرشاد بالحرس الوطني عمل على تقديم الإسلام لهؤلاء عن طريق تنظيم أنشطة مختلفة وطباعة وتوزيع أعداد من ترجمة معاني القرآن الكريم والكتب والأشرطة وغير ذلك من المواد الدعوية المختلفة، كما أنه يسهم بفعالية في أنشطة الحج والتوعية فيه للجاليات المختلفة وخاصة المسلمين الجدد حيث تقدم لهم مواد دعوية متعددة.

العوامل المساعدة على دعوة الجاليات:

إن الحياة العامة في المملكة العربية السعودية وما تعيشه بفضل الله من أمن واستقرار أسهم في لفت نظر المقيمين في المملكة من غير المسلمين، كما أن إقامة شعائر الإسلام وخصوصًا الصلوات في المساجد وإقفال المحلات التجارية أثناء الصلاة،[٥٨] وتحريم الخمور والعري والفحش لفت نظر الكثيرين من ذوي الفطرة السلمية ودفعهم للاستفسار عن الإسلام الذي يحكم نظام البلد ويعيشه أهله ويطبقونه بوجه عام في حياتهم العامة والخاصة.

لا شك أن تطور الحياة العلمية العامة للناس في المملكة العربية السعودية قد ساهم بصورة مباشرة في تنمية الدعوة بين الجاليات في المملكة، فقد وجد من بين المثقفين من يحمل هم الدعوة ويجيد اللغات الحديثة السائدة بين هذه الجاليات، وفي تصوري إن وجود عدد كبير من الشباب السعودي المؤهل والحامل لهمّ الدعوة والمجيد للغات المختلفة وخصوصاً اللغة الانجليزية كان له دور كبير في التحرك النشط لدعوة غير المسلمين ليس فقط بين الناطقين بالانجليزية بل بين مختلف الفئات من الجاليات إلا أن

(٥٨) انظر: بعض القصص حول أسباب إسلام بعض الأفراد في: خالد عسيري، **الدعوة الإسلامية بين الجاليات في المملكة العربية السعودية**، دراسة مدينة الرياض، ص ٥٨ ـ ٦٠.

تحرك هؤلاء سواء بذواتهم أو بتحريك من طلبة العلم الذين لا يعرفون اللغة أحيانًا ساهم في تحرك جموع مختلفة من الناطقين بلغات أخرى والحاملين لهمّ الدعوة.

ولا شك أن اللغة للدعاة من أهم الأسلحة التي توفرت في هذا الوقت، ولعل القرآن الكريم قد أشار إلى أهمية اللغة عند ممن يدعو قومًا معينين في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ الآية (٤) [إبراهيم]. كما أن توفر الكتب والمواد الدعوية المساعدة من أشرطة وغيرها كان له دور كبير في تحريك دعوة الجاليات.

وقد كان لتشجيع سماحة المفتي السابق الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ لهذه الأنشطة الدعوية والترخيص لها والحصول على الموافقات الرسمية اللازمة لتنظيمها ودعمها أثر كبير في تنميتها وحمايتها وتنظيمها وتوجيهها الوجهة السليمة البعيدة عن الدخول في إشكاليات محظورة.

كما أن الحماس للإسلام والدعوة إليه عند الغيورين من أبنائه ساهم في قيام عمل نشيط لدعوة غير المسلمين إلى الإسلام.

ولا شك أن الدعم المالي السخي من قبل مسلمي هذا البلد صغارًا وكبارًا أمراء وعامة كان له دور رئيس في قيام مكاتب الجاليات واستمرارها في أداء مهامها.

كما أن نجاح هذه المكاتب في تحقيق أهدافها بدخول الآلاف من الناس في الإسلام عن طريق دعاة هذه المكاتب كان له أثر كبير في تشجيع العاملين فيها وفي استمرار عطائهم حيث إنهم يقومون بالعمل محتسبين ومتطوعين، وفي هذا دلاله كبرى على حرصهم وحسن نيتهم مما حقق لهم نجاحًا منقطع النظير.

أهم الإنجازات:

إن الانجازات لا تتحقق إلا بحركة ونشاط، والمطلع على الأنشطة المختلفة لمكاتب دعوة الجاليات يجد أنشطتها تعتمد على طباعة الكتب وإقامة المحاضرات والزيارات ورحلات الحج والعمرة والدروس التعليمية داخل المكاتب وخارجها، وتفطير الصائمين، وتقديم الكتب والهدايا، وكل من هذه المناشط تعتمد بالدرجة الأولى على المتطوعين، كما أن ما يحتاج منها إلى تمويل يحتاج إلى نشاط مقابل في جمع التبرعات من المحسنين.[٥٩]

---

(٥٩) المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد شمال الرياض، (**التقرير السنوي**) ١٤٢١هـ.

وإن أهم الانجازات في تصوري هو قيام تلك الجهات الدعوية ومنها مكاتب دعوة الجاليات بالفرض الواجب على الأمة بغض النظر عن وجود نتائج لتلك الدعوة من عدمها، ومع ذلك فإن عدد الداخلين في الإسلام ـ ولله الحمد ـ خلال العشرين سنة الماضية يعد أكبر دليل على نجاح دعوة الجاليات في المملكة خلال الفترة، حيث وصل على سبيل المثال عدد الداخلين في الإسلام عن طريق مكتب الدعوة الجاليات بالقصيم وفروعه منذ تأسيسه سنة ١٤٠٧هـ حتى ١٤٢٢هـ أكثر من أربعة عشر ألفاً.(٦٠)

وما في نشرات المكاتب الأخرى وفي إحصائيات وزارة الشؤون الإسلامية من أعداد الداخلين في الإسلام شواهد حيه تدل على عظيم النتائج التي حققتها الدعوة إلى الإسلام بين الجاليات في المملكة العربية السعودية.

ومن خلال البحث عن جنسيات المسلمين الجدد في مكاتب دعوة الجاليات في مختلف المملكة تبين إقدام العديد من مواطني جنسيات عالمية مختلفة على الإسلام عن طريق تلك المكاتب، من تلك الجنسيات:

---

(٦٠) مركز توعية الجاليات بالقصيم، **التقرير الشامل** حتى عام ١٤٢٢هـ، ص ١١.

الفلبينيـة، الهنديـة، السـيرلانكية، الأمريكيـة، الألمانيـة، النمسـاوية، الكنديـة، التايلانديـة، البنجلادشـية، البريطانيـة، المصـرية، الكينيـة، النيوزلنديـة، الأردنيـة، الباكسـتانية، السورية، النيجرية ، الفرنسية، السويسـرية، الغانية، الايرلندية، الأثيوبية، البرتغاليـة، اللبنانيـة، الاريتريـة، الماليزيـة، الصـينية، الاسترالية.[٦١]

وقد تبين من الدارسة إسلام عدد من أبناء الجاليات العربية ومن جنسيات أخرى فيها أغلبية مسلمة إلا أنهم لم يهتدوا إلى الإسلام إلا في هذه البلاد وبالجهود المخلصة من دعاة مكاتب الجاليات.

الطباعة والنشر:

لقد أسهمت دعوة الجاليات في نشر الكتاب الإسلامي باللغات العالمية المختلفة، وتعد ترجمة معاني القرآن باللغات المختلفة التي ينتجها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف في المدينة المنورة ، أهم سلاح يستخدم في دعوة الجاليات إلى الإسلام، بالإضافة إلى المئات بل الآلاف من الكتب بلغات عديدة صدرت عن وزارة الشؤون

(٦١) انظر: **التقرير الشامل** لمكتب توعية الجاليات بالخدمات الطبية للقوات المسلحة، ص ٩.

الإسلامية وعن مختلف الجهات التي عملت في دعوة الجاليات،[٦٢] وهذه الكتب لم يكن تأثيرها على المستوى المحلي ودعوة الجاليات في المملكة العربية السعودية فقط، بل كان لها تأثير عالمي في نشر الإسلام على المستوى الدولي.

وقد تبين من خلال الدراسة أن اللغات التي صدرت فيها كتب أو منشورات عن الإسلام من الجهات العاملة في دعوة الجاليات هي:

الانجليزية، الألمانية ،التركية، المليبارية، الهندية، الأردية، البشتو، الفلبينية (التقالو)، الإندونيسية، النيبالية، السنهالية، الصومالية، الفرنسية، الطارقية (مالي)، التجرينية (ارتريا)، السنهالية (سيرلانكا)، السيرلانكية (التاميلية)، الفارسية، الأسبانية، وغيرها.

ومن المعلوم أن نفع هذه الكتب لم يتوقف على المقيمين من أبناء الجاليات في المملكة وحدها بل كان الكثير منهم يحملها معه عند عودتهم إلى بلادهم، بل أنها أصبحت أساسًا عند الدعاة إلى السلام في مختلف بلاد العالم يستنسخون منها، يعيدون

(٦٢) انظر: **التقرير السنوي** لمكتب توعية الجاليات بالقصيم، ١٤٢١هـ.

طباعتها وتصويرها، حتى عمت بركتها مختلف أنحاء العالم ـ بفضل الله وبرحمته ـ.

التوعية الصحيحة عن المجتمع السعودي:

لا شك أن مكاتب توعية الجاليات قامت بدور رئيس في تعريف الجاليات بالمجتمع السعودي وعاداته وديانته وهي الأهم التي ارتبطت بحياة الناس في هذا البلد، بل إن التعريف بالحياة الاجتماعية للسعوديين كانت من أهم المداخل التي طرقها دعاة الجاليات لدعوة الكثير من الأجانب وخصوصًا الطبقة المتعلمة منهم، وقد ساهم ذلك في رسم صورة صحيحة عن المملكة في مختلف الظروف والأحوال والتطورات للأحداث عالميًا ومحليًا.

تعميم الدعوة عالميًا:

إن الكثير ممن هداهم الله إلى الإسلام في هذه البلاد من الجاليات المختلفة حملوا هم الدعوة الإسلامية ونورها إلى بلدانهم المختلفة، وإن ذوي العلاقة ببعض مراكز الدعوة في آسيا وأوربا وغيرها يعرف كثيرًا من قصص بعض مؤسسيها واهتدائهم إلى الإسلام في بلاد الحرمين وعودتهم بنور الهداية وحماسهم للإسلام ودعوته وتأسيسهم مراكز لهذه الغاية وبدعم من أهل الخير في

هذه البلاد وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ولذلك فإنني أعود للتأكيد مرة أخرى أن أثر دعوة الجاليات لم يتوقف على المملكة وحدها بل امتد لأصقاع العالم، والمطلع على الرسائل التي ترد لمكاتب الدعوة في المملكة من أنحاء العالم يدرك الدور المهم الذي تقوم به.

المعوقات:

من المؤكد أن معوقات العمل بين الجاليات كبيرة سواء كان العمل رسميًا أن تطوعيًا خيريًا فلكل مشاكله ومعوقاته.

ولا شك أن أي عمل منتج يكون له سلبيات كما له ايجابيات، والوحيد الذي لا يخطئ هو غير المنتج، والتوقف عن الإنتاج والنشاط أكبر خطأ وأعظمه.

- وفي نظري أن عدم التنسيق في الترجمة بين الكثير من المكاتب أبرز سلبية، حيث يتكرر الجهد ويضيع الوقت والمال في بعض الأحيان في عمل واحد يقوم به أكثر من جهة في الوقت نفسه.

- صعوبة التدقيق في الترجمات سواء الشفهية في الأشرطة أو التحريرية في الكتب ووجود الأخطاء المتفاوتة حسب قدرة القائمين بالعمل ودقتهم.

- المشاكل المالية التي تعاني منها المكاتب الخيرية لدعوة الجاليات رغم أن الكثير من المحسنين وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين ـ وفقه الله ـ يقدمون دعمهم السخي لتلك المكاتب وأنشطتها المختلفة إلا أن الهاجس المالي يحد في بعض الأحيان من أنشطتها المختلفة.

- صعوبة وجود دعاة مؤهلين يجيدون لغات أبناء الجاليات المستهدفة وفي الوقت نفسه يحملون العلم الشرعي الصحيح.

- صعوبة رعاية المسلمين الجدد ومتابعتهم حيث إن جهود الدعاة تتوجه لإقناع هؤلاء على الدخول في الإسلام وبعد إسلامهم يكون الدعاة مشغولين بآخرين، وبالتالي يصعب عليهم متابعة المسلمين الأوائل لعدم توفر الوقت، كما أن حاجز اللغة يحول أحياناً بين المسلمين الجدد والإفادة من الآخرين في المجتمع، ومع أن مكاتب دعوة الجاليات تشكل لجانًا لمتابعة المسلمين الجدد ينضم إليها عدد من المحتسبين إلا أن هذه المشكلة قائمة وتزداد يومًا بعد يوم.

- صعوبة إيجاد أماكن مهيأة لمكاتب دعوة الجاليات الخيرية التعاونية، وهي في كثير من الأحيان تلجأ للاستئجار لأماكن غير مناسبة، كما أنها في أحيان كثيرة تستنزف الكثير من مواردها.

- صعوبة تعامل بعض أصحاب العمل مع الداخلين في الإسلام من عمالهم وموظفيهم وخصوصًا إذا كان المسؤول عن العامل أو الموظف من أبناء الديانة السابقة للمسلم الجديد حيث يحاول التضييق عليه، وهذا الأمر يتطلب في بعض الأحيان تدخل لمكاتب الدعوة والجهات المسؤولة لتيسير أموره وعدم التضييق عليه.

التوصيات:

- لقد سبقني عدد من الباحثين الذين تعرضوا لدعوة الجاليات ودرسوها دراسة ميدانية وأوصوا بعدة وصايا سأقتبس الكثير منها في هذا الموضوعات لقناعتي بتلك التوصيات ووجاهتها خصوصا أنهًا نبعت من أهل الخبرة والكفاءة، ونتجت عن بحث ميداني متعمق.

- ضرورة حماية هذه المكاتب وتنميتها وتيسير أمورها وتشجيع القائمين عليها، وهذا الأمر ـ ولله الحمد ـ متوفر من قبل خادم

الحرمين الشريفين شخصيًا ـ وفقه الله ـ، ومن قبل حكومته الرشيدة ممثلة في مقام وزارة الشؤون الإسلامية التي حملت عن هذه المكاتب عبئًا كبيرًا من النواحي العملية والمالية، وبالتالي فإنه وإن لم تسلم جهود العاملين من الأخطاء كأي نشاط بشري إلا أن النتائج والثمرات ـ ولله الحمد ـ طيبة، واستمرار هذا النشاط الدعوي وتوجيهه من أوجب الواجبات، نسأل الله للجميع العون والتوفيق.

- [ضرورة نشر الوعي الديني بين المسلمين أنفسهم، حتى يكونوا دعاة إلى الله عز وجل بأعمالهم قبل أقوالهم، فإن تحويل تعاليم الإسلام إلى واقع محسوس متمثل في مجتمع مسلم له أعظم الأثر في نفوس الباحثين عن الحق، كما أن واقع المسلمين السيئ هو من أعظم ما أضر بدعوة غير المسلمين]. (٦٣)

- [تشجيع الدراسات والبحوث العلمية التي تعنى بالتعريف على المدعوين من غير المسلمين معرفة علمية دقيقة، وإيجاد مركز معلومات عن بيئاتهم وثقافاتهم، وعاداتهم وتقاليدهم، من ثم

(٦٣) خالد عسيري، الدعوة بين الجاليات في المملكة العربية السعودية، دراسة مدينة الرياض، ص ٢٤٢.

يتمكن القائمون بالدعوة من التعرف عليهم واختيار الطرق المتناسبة لدعوتهم].[٦٤]

- [نشر الوعي بين المواطنين على اختلاف مكانتهم بأهمية موضوع دعوة الجاليات غير المسلمة، وأنها أمانة ملقاة على عاتق المجتمع عامة، فلا بد لكل شخص من أن يهتم بمن حوله منهم].[٦٥]

- السعي لإيجاد موارد مالية ثابتة لمكاتب دعوة الجاليات وتشجيع الموقفين على سبل الخير بتخصيص شيء منها لصالح دعوة الجاليات، وإنشاء أوقاف خاصة بها والتشجيع على ذلك.[٦٦]

- تشجيع الكوادر البشرية المختلفة على التعاون مع مكاتب دعوة الجاليات، وخصوصاً المحتسبين منهم، وتهيئة الظروف المناسبة لهم مع جهات عملهم الرسمية حيث إن الكثير منهم

---

(٦٤) د. عبد الله اللحيدان، دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في مدينة الرياض، ج ٢/٥٣٥.

(٦٥) خالد عسيري، الدعوة بين الجاليات في المملكة العربية السعودية، دراسة مدينة الرياض، ص ٢٤٢.

(٦٦) انظر: خالد عسيري، **الدعوة بين الجاليات في المملكة العربية السعودية**، دراسة مدينة الرياض، ص ٢٤٢.

مرتبطون بوظائف أخرى تحول دون توفر الوقت لديهم وخصوصاً في بعض المناسبات الخاصة.

- توجيه حملات إعلامية تُعَرِّف بالمكاتب التعاونية وجهودها ومواقعها حتى يسهل الوصول إليها، وتشجيع المزيد من المكاتب التعاونية لتغطي كل موضع توجد فيه جالية غير مسلمة.(٦٧)

- ترتيب دورات شرعية وبرامج خاصة للدعاة في دعوة غير المسلمين وتهيئة الفرص للمختصين في العلوم الشرعية لدارسة لغات المدعوين للإسهام في دعوة غير المسلمين.(٦٨)

- [تركيز مواقع المكاتب التعاونية قرب الأماكن العامة التي يرتادها غير المسلمين، كالأسواق، والمستشفيات، والبنوك، وغيرها].(٦٩)

---

(٦٧) انظر: خالد عسيري، **الدعوة بين الجاليات في المملكة العربية السعودية**، دراسة مدينة الرياض، ص ٢٤٢.

(٦٨) د. عبد الله اللحيدان، دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في مدينة الرياض، ج ٢/٥٣٥.

(٦٩) د. عبد الله اللحيدان، دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في مدينة الرياض، ج ٢/٥٣٦.

- توعية عامة المسلمين بفقه التعامل مع الآخرين وأداء حقوقهم مسلمين وغير مسلمين عبر الوسائل المختلفة، ومعاملتهم معاملة حسنة سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، لإعطاء الصورة الطيبة عن الإسلام وأهله، وتوعية المسلمين الوافدين إلى المملكة بالإسلام وتصحيح المفاهيم الخاطئة لديهم.(٧٠)
- متابعة المسلمين الجدد وتربيتهم وإعدادهم للتأثير على زملائهم من غير المسلمين، والاستفادة منهم في مجال الدعوة في المملكة وبعد عودتهم إلى بلادهم.(٧١)
- التعميم على المكاتب التعاونية بضرورة وضع إحصاءات دقيقة عن المسلمين الجدد ومتابعتها وتجديدها باستمرار.(٧٢)

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**.

---

(٧٠) بتصرف د. عبد الله اللحيدان، دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في مدينة الرياض، ج ٢/٥٣٥.

(٧١) بتصرف د. عبد الله اللحيدان، دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في مدينة الرياض، ج ٢/٥٣٥.

(٧٢) خالد عسيري، الدعوة بين الجاليات في المملكة العربية السعودية، ص٢٤٣.

- عسيري: خالد عيسى، **الدعوة الإسلامية بين الجاليات في المملكة العربية السعودية، دراسة مدينة الرياض**، مركز البحوث والدراسات الإسلامية بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٧هـ.
- د. عبد الله اللحيدان، **دعوة غير المسلمين إلى الإسلام**، ط١، الرياض ١٤٢٠هـ.
- **دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في مدينة الرياض**، دراسة ميدانية، رسالة دكتوراه غير منشورة.
- **اللائحة التنظيمية للمكاتب التعاونية للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات**، (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد).

نشرات وتقارير:

- بيانات وزارة الشؤون الإسلامية، غير منشورة.
- تقرير إدارة المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد شمال الرياض، ١٤١٥هـ.
- التقرير الشامل لمكتب توعية الجاليات بالخدمات الطبية للقوات المسلحة، (د. ت).

- نشرة المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالحمراء وسط جدة، التقرير الثاني، ١٤١٢هـ.
- نشرة مكتب توعية الجاليات التعاوني بالحمراء والكورنيش، جدة، ١٤٢١هـ.
- نشرة المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات في محافظة طريف، التقرير الأول، ١٤٢١هـ.
- نشرة المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالطائف، ١٤٢١هـ.
- نشرة المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بمحافظة الداير، ١٤٢١هـ.
- نشرة المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات في حوطة بني تميم، ١٤٢١هـ.
- نشرة المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بجبل خاشر، ١٤٢٠هـ.
- نشرة المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالبديعة، مسيرة وخطوات.

- نشـرة المكتـب التعـاوني للـدعوة والإرشـاد وتوعيـة الجاليـات بالجبيل.
- نشـرة المكتـب التعـاوني للـدعوة والإرشـاد وتوعيـة بالقويعيـة، ١٤١٥هـ.
- نشـرة المكتـب التعـاوني للـدعوة والإرشـاد وتوعيـة الجاليـات بمحافظة الداير.
- نشـرة المكتـب التعـاوني للـدعوة والإرشـاد وتوعيـة الجاليـات في شمال الرياض، ١٤٢١هـ.
- نشـرة المكتـب التعـاوني للـدعوة والإرشـاد وتوعيـة الجاليـات في شرق جدة.
- نشـرة المكتـب التعـاوني للـدعوة والإرشـاد وتوعيـة الجاليـات في البطحاء بالرياض، ١٤٢١هـ.
- نشـرة المكتـب التعـاوني للـدعوة والإرشـاد وتوعيـة الجاليـات بالدلم، ١٤٢١هـ.

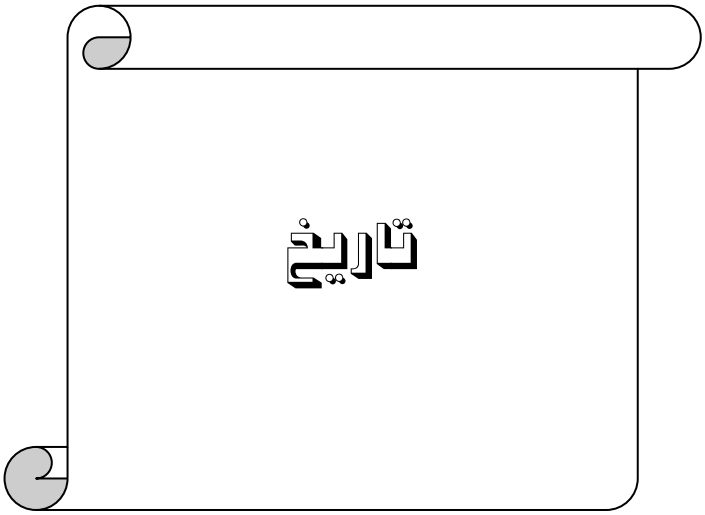
تاريخ

حجة الرسول ﷺ

في السنة العاشرة للهجرة حج رسول الله ﷺ مرة واحدة في عمره، لقد كانت حجة وحيدة لكنها فريدة، كانت حجة تشريع وتوجيه وعدل، حجة إظهار للحق وإبطال للباطل، حجة دعا الرسول ﷺ فيها المسلمين للحج والالتقاء به، حجة أعلن فيها رسول الله ﷺ، للأمة قاطبة مبادئ يجب أن لا تغيب عن كل مسلم حجة علَّم رسول الله ﷺ فيها الناس ووجههم ونظر إليهم ونظروا إليه وتمتعوا بمشاهدته ﷺ الذي لا تمل منه العيون، كان ﷺ يقود فيها الحجيج في مكَّة من بقعة إلى بقعة وقد بلغ عددهم قرابة المائة ألف حاج، الرسول ﷺ هو القائد الوحيد لهم بعد أن أخرج منها قبل سنوات شريدًا طريدًا فارًا بدينه إلى الله لم يكن معه سوى صاحبه الأول أبي بكر الصديق ﷺ وها هو الآن مع بقية أصحابه يسوسون الناس بما فيهم من حاول قتله قبل ذلك ولكن شتان بين

رعايته ﷺ ورحمته للناس وبين الطرد والقتل من قبل قوى الشر، جاء الرسول ﷺ إلى مكَّة ليعلن للعالم الحاضر في ذلك الزمان والذين لم يولدوا بعد. أن بعثته رحمة، وأن حياته عدل، وأن دينه حق، وأن حرمة الناس عند الله هي أعظم الحرمات وأن الإنسان وحقوقه ودمه لا تقل أهمية عن الشعائر وحرمة الأيام. جاء ﷺ إلى مكَّة ليأمر الناس بالأخذ عنه وكان يلمح لهم أنه يودعهم كان يقول للناس: ((خذوا عني مناسككم فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا))، جاء الرسول ﷺ ليدوي بخطبته الشهيرة خطبة الوادع التي تبين وتوضح لكل من يسمعها أو يقرؤها، ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾ الآيات (٣)، (٤) [النجم]، ولذلك فإن على المسلمين أن يدرسوا كلماته ﷺ، ليعرفوا حقوقهم وواجباتهم وليحترموا بعضهم ولا يعتدي أحد منهم على أحد، لقد كان مما قال ﷺ في هذه الخطبة: ((أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فيؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن كل ربا موضوع ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون قضى الله أنه لا ربا...)).[٧٣]

---

(١) انظر: **السيرة النبوية**، لابن هشام، (حجة الوداع).

وكان مما قال: ((أما بعد أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدًا ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به ما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم)).[٧٤]

صلى الله عليك يا رسول الله، إن الدين الذي جئت به الإسلام وإن الإسلام عدل وحق، وإن الحج دين، وإن الدين جاء لحماية الإنسان وحفظه ولذلك فقد ذكرت الناس بأن لا يعتدي بعضهم على بعض وأن لا يأكلوا أموال بعض وأن يعدلوا فيما بينهم.[٧٥]

أمرهم الرسول ﷺ بنسائهم خيرًا وذكرهن بحقوق الرجال في قوله: ((إن لكم على نسائكم حقًا ولهن عليكم حقًا..))،[٧٦] وكان مما قال ﷺ: ((تركت فيكم ما أن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا أمرًا بينًا كتاب الله وسنة نبيه)).[٧٧]

كما ذكرهم رسول الله ﷺ بوجوب المحبة بينهم والتواد والتراحم فقال: ((تعلمون أن كل مسلم أخ للمسلم والمسلمون أخوة،

---

(٢) انظر: **السيرة النبوية**، لابن هشام، (حجة الوداع).
(١) انظر: **السيرة النبوية**، لابن هشام، (حجة الوداع).
(٢) انظر: **السيرة النبوية**، لابن هشام، (حجة الوداع).
(٣) انظر: **السيرة النبوية**، لابن هشام، (حجة الوداع).

فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم)).[٧٨]

وبعد أن وعظ الرسول ﷺ الناس قال: ((اللهم هل بلغت؟ فرد عليه الناس: اللهم نعم فقال ﷺ: اللهم فأشهد)).[٧٩]

هكذا حج الرسول ﷺ ليعلن للناس الحق وليعلمهم العدل فيا من حججت إياك وإيذاء الناس، ويا من حججت إياك وأموال الناس، ويا من حججت أحب كل الناس، ويا من حججت أعلم أن الحجاج لهم حرمة تفوق حرمة المشاعر، فحج لله وأرع كلام رسول الله ﷺ وإياك والحج الظاهر والعمل الباطل، نسأل الله أن ييسر أمور كل حاج ومسلم، فهو وحده المستعان وعليه وحده التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

❁❁❁

(٤) انظر: **السيرة النبوية**، لابن هشام، (حجة الوداع).
(٥) انظر: **السيرة النبوية**، لابن هشام، (حجة الوداع).

رمضان في التاريخ

كان شهر رمضان عند المسلمين على مر العصور شهر العبادة والإخلاص وعلى رأس العبادة الجهاد في سبيل الله والتضحية بالنفس في هذا الشهر المبارك، وقد شهد التاريخ الإسلامي العديد من المعارك الحاسمة التي كانت دُرة في جبينه شهدت أقصى أنواع التضحية في الدفاع عن الأمة وحمايتها من الأعداء وخدمة الدعوة وتحطيم القوى التي تحجبها عن الناس وسوف أتحدث هنا عن المعارك في تاريخ المسلمين دون التعرض لمغازي رسول الله ﷺ حيث سيكون لبعضها موضع آخر بإذن الله.

من أشهر تلك المعارك فتح الأندلس ومعركة عين جالوت، وموقعة شقحب، ونحب أن نتذكر تلك الأحداث في هذا الشهر الكريم حيث شارك فيها رجال الأمة المخلصين.

معركة وادي لكة (شذونة) ٢٨ رمضان ٩٢هـ:

في أواخر القرن الأول الهجري كان معظم البربر في شمال أفريقيا قد دخلوا في الإسلام وبدأوا يتطلعون للفتوح والمساهمة في نشر الإسلام ومد سلطانه على من يجاورهم من البلاد وقد تكون جيش قوامه سبعة آلاف من البربر وثلاثمائة فقط من العرب، وقد أسندت قيادته إلى طارق بن زياد، بأمر من موسى بن نصير والي إفريقيا من قبل الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، قامت السفن الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط بنقل الجند إلى الأندلس وعادت أدراجها، وبدأ طارق بن زياد يزحف بجنده ويلاقي التعاون والترحيب من قبل سكان الأندلس الذين كانوا يفضلون المسلمين على الحكام من بني جلدتهم، وفي هذه الأثناء أخذ (لذريق) ملك الأسبان يعد العدة لوقف المسلمين وطردهم من الأندلس، وقد بعث أحد جواسيسه ليتوغل في صفوف المسلمين ويأتيه بالأخبار وبعد فترة عاد إليه وقدم تقريرًا قال فيه: (لقد جاءك من لا يريد إلا الموت أو إصابة ما تحت قدميك حطوا في السهل موطنين أنفسهم على الثبات ليس لهم في أرضنا مهرب ولا سفن يتعلقون بها).

انزعج (لذريق) من التقرير وعبأ قواته لمقاومة المسلمين، وكان قوام جيشه أربعين ألف مقاتل مما اضطر طارق بن زياد لطلب النجدة من موسى بن النصير والي إفريقيا فأمده بخمسة آلاف مقاتل فأصبح جيش المسلمين اثني عشر ألفًا مقابل أربعين ألفًا من الأسبان الذين غرتهم أنفسهم واستعدادهم وكانوا متأكدين من تغلبهم لدرجة أنهم قد أعدوا ما يحملون عليه من أسرى المسلمين حيث كان مع لذريق عربات تحمل الأموال وهو على سرير تحمله ثلاث بغلات مقرونات وعليه قبة مكللة بالدر والياقوت، وعلى جسمه حلة لؤلؤ، ومعهم عدد من الدواب لا تحمل غير الحبال لكتف الأسرى المسلمين إذ لم يشكوا في انتصارهم على المسلمين وأسرهم أو قتلهم، حيث كان جيش الأسبان أقوى تنظيمًا وأكثر عدة واستعدادًا، وأعلم منهم بالأرض ومسلكها وأقرب إلى مصادر التموين وكانت كل العوامل المادية في صالحه.

تجمع الجيشان في وادي "لكه" قرب "شذونه" جنوب غرب الأندلس وبدأت المعركة في يوم الأحد ٢٨ رمضان سنة ٩٢هـ واستمرت ثمانية أيام أبلى المسلمون فيها بلاءًا حسنًا وقدموا فيها ثلاثة آلاف شهيدًا أي قرابة ٢٥٪ من الجيش وصبروا وصابروا حتى كان النصر حليف المسلمين واختفى ملك الأسبان ولم يعثر له على أثر وتفرقت جيوشه.

كان الجيش الإسلامي في هذه المعركة يتفوق بقوة العقيدة وحب الموت وطلب الشهادة والتماسك والثبات وإعداد ما استطاعوا من قوة مادية وهذه الصفات تغلبت على القوى المادية التي كانت في ظاهرها في صالح الأسبان، وكان من نتيجة المعركة أن أصبح الطريق سالكًا للمسلمين لفتح بقية الأندلس ونشر الإسلام فيها، والملاحظ أن المسلمين كانوا يجدون التعاون والتشجيع من أهل البلاد الأصليين من الأسبان ضد حكامهم الأصليين لما يعلمونه من عدل الإسلام وسماحة المسلمين ولله در طارق بن زياد وهو يمثل تلك الجموع قائلاً:

ولسنا نبالي كيف سالت نفوسنا

إذا نحن أدركنا الذي كان أجدرًا

معركة عين جالوت رمضان ٦٥٨هـ:

كان الصليبيون يعيثون فسادًا في بلاد الشام منذ غزوهم لها في أواخر القرن الخامس الهجري، ثم سقطت بغداد في يد المغول على يد قائدهم السفاح هولاكو سنة ٦٥٦هـ وواصلوا زحفهم إلى بلاد الشام وتمكنوا من الاستيلاء على معظم مدنه سنة٦٥٦هـ إلى سنة ٦٥٨هـ وعاثوا فيها فسادًا وبدأوا يخططون للهجوم منها على مصر، وكتب قائدهم إلى سلطان الممالك في مصر سيف الدين

قطز مهددًا ومتوعدًا وكان مما قال: (اسلموا إلينا أمركم قبل أن ينكشف الغطاء وتندموا ويعود عليكم الخطأ، فنحن لا نرحم من بكى ولا نرق لم شكى وقد سمعتم إننا قد فتحنا البلاد وطهرنا الأرض من الفساد، وقتلنا معظم العباد، فعليكم بالهرب، وعلينا الطلب، فأي أرض تأويكم، وأي طريق تنجيكم، وأي بلاد تحميكم، فما لكم من سيوفنا خلاص ولا من رماحنا مناص، فخيولنا سوابق، وسهامنا خوارق وسيوفنا صواعق، وقلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال..) إلى آخر الرسالة.

وقد عقد السلطان قطز اجتماعًا للأمراء والعلماء لبحث القضية واتخاذ موقف موحد من العدو الداهم، واستقر الرأي على مقابلة التهديد بالاستعداد للحرب والجهاد، وأخذ السلطان يعد الأموال والسلاح للمعركة وأراد أن يفرض ضرائب جديدة على سكان مصر بغرض الجهاد فوقف رجال الدين والعلماء من السلطان موقفًا شجاعًا، وكان على رأسهم العز بن عبد السلام حيث عارضوه في فرض الضرائب واشترطوا عليه أولاً إحضار ما عنده وعند القواد الأمراء من أموال وحلي وتحويلها إلى نقود فإن لم تكفي جاز له أن يفرض على الرعية وإن لم يبدأ بنفسه فلا، امتثل قطز لرأي العلماء وكان حاكمًا عادلاً، لم يبدأ بجمع المال من الرعية إلا بعد أن أخرج ما عنده وما عند الأمراء الآخرين.

وأخذ السلطان قطز في استنهاض أمراء المماليك والجند في الخروج للجهاد فوجد تكاسلاً وتأخرًا عن الرغبة في الجهاد من بعض أمراء المماليك، فخاطبهم قائلاً: (يا أمراء المسلمين لكم زمان تأكلون أموال بيت المال وأنتم للغزاة كارهون، وأنا متوجه فمن اختار الجهاد يصحبني ومن لم يرغب ذلك فليرجع إلى بيته فإن الله مطلع عليه، وخطيئة المسلمين في رقاب المتأخرين).

خرج السلطان قطز بجيش المسلمين من مصر في أوائل شهر رمضان سنة ٦٥٨هـ وانضمت إليه بعض أجناد الشام وتوجه بهم إلى فلسطين، وكان أمامه عدوين التتار والصليبيون، واضطر قطز أن يتصل بالصليبين ويهددهم ويطلب منهم الوقوف على الحياد، فقبلوا ذلك.

التقى المسلمون بقيادة سيف الدين قطز مع التتار بقيادة كتوبغا في عين جالوت ودارت معركة حامية استبسل فيها الفريقان، واهتز جيش المسلمين وكاد أن يهزم وعند ذلك نزل السلطان قطز من فرسه ورمى خوذته وأخذ يقود الجيش بنفسه ويصيح صيحته المشهورة (وا اسلاماه.. وا اسلاماه.. وا اسلاماه) وكان يردد: يا الله أنصر عبدك قطز، وكان مثالاً نادرًا للشجاعة وسرعان ما التفت حوله القوات الإسلامية وحملوا من جديد على التتار، فأزالوهم عن مواقعهم وقتل قائدهم (كتوبغا) وكان النصر حليف المسلمين

وعند انجلاء المعركة نزل السلطان قطز ـ رحمه الله ـ عن فرسه ومرغ وجهه على الأرض تواضعًا لله وصلى ركعتي شكر لله، وفي نهاية المعركة أُحضر الخونة ممن قاتلوا في صف التتار من المسلمين وأمر قطز بقتلهم جزاء خيانتهم لأمتهم،[٨٠] وكانت هذه الواقعة هي أول هزيمة حقيقية للمغول، حطمت عقدة كانت شائعة بأن المغول قوم لا يهزمون وأتاحت للمسلمين الفرصة لرد أنفاسهم والتغلب على المغول، حتى انتشر الإسلام بينهم فيما بعد.

موقعة شقحب رمضان ٧٠٢هـ:

وفي أواخر شهر شعبان سنة (٧٠٢) للهجرة تقدمت جموع التتار في بلاد الشام وواصلت زحفها حتى اقتربت من دمشق، وفي هذه الأثناء كان التتار يظهرون أنهم قد دخلوا في الإسلام وكان قد تفشى بينهم حقيقة، إلا أنهم لم يتوقفوا عن الغزو والاعتداء على غيرهم من المسلمين، وقد تردد الناس في قتالهم وهم يظهرون الإسلام، فكان لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ موقفًا واضحًا، حيث دعا الناس إلى قتالهم قائلاً: حتى لو كانوا مسلمين فإنهم من جنس الخوارج الذين خرجوا على علي ومعاوية. وتحدث عنهم قائلاً يعيبون على المسلمين ما هم فيه من المعاصي والظلم

(١) انظر تفصيلات المعرفة في: **البداية والنهاية**، لابن كثير، ج ١٣، ص٢٢٦. **السلوك**، للمغريزي، ج ١، ص ٤٢٩.

وهم بما هم أعظم منه بأضعاف مضاعفة وكان ـ رحمه الله ـ يقول للناس: إذا رأيتموني في ذلك الجانب وعلى رأسي المصحف فاقتلوني فشجع بذلك الناس، وقويت عزائمهم على محاربة المعتدين من التتار، وأخذ شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ يزور المعسكرات ويشجع الناس على القتال ويزيل ما في أنفسهم من شبهة قتال هؤلاء ويبين لهم أنهم معتدين ويجب ردهم حتى لو كانوا مسلمين، وكان الناس في دمشق وما جاورها في حال اضطراب لا يدرون ما يقع، وفي آخر أيام شهر شعبان وصلت الجيوش المصرية إلى قرب دمشق وعلى رأسها السلطان الناصر محمد بن قلاوون واجتمعت مع الجيوش الشامية لقتال التتار وقد طلب السلطان قلاوون من شيخ الإسلام ابن تيمية أن ينضم معه إلى الجيوش المصرية، فقال الشيخ تشجيعًا لأهل الشام: السنة أن يقف الرجل تحت راية قومه، ونحن من جيش الشام لا نقف إلا معهم وحرض السلطان على القتال وبشره بالنصر، ودخل شهر رمضان والمعركة لم تبدأ بعد وفي يوم المعركة أفتى ابن تيمية ـ رحمه الله ـ الناس بالفطر مدة قتالهم وأفطر هو بنفسه وكان يدور على الأجناد والأمراء فيأكل من شيء معه في يده، ويعلمهم أن إفطارهم أقوى على القتال وأفضل فيفطر الناس.

وقد جرت المعركة واشترك فيها شيخ الإسلام ابن تيمية وكان على فرسه يصول ويجول مثالاً للعلماء الفرسان في وقت واحد يثبت قلوب من حوله بأقواله وأفعاله، وقد كان السلطان قلاوون بنفسه من شجعان الرجال في المعركة حيث حرص في ذلك الموقف على النصر أو الشهادة وأمر بجواده فقيده حتى لا يهرب ولا تحدثه نفسه بالهرب، وقد صدق العلماء والقادة والجند فانتصر معسكر المسلمين من أهل الشام ومصر على التتار في هذه المعركة وذلك يوم (٤) رمضان، ومما يلفت النظر في هذه الأحداث أن مدينة دمشق كانت قريبة من مكان المعركة، وبالتالي كانت تصلها تقارير عسكرية رسمية في كل ساعة تقريبًا تبلغ في جامع دمشق على مسامع الناس عن مسيرة المعركة وتطلب منهم الدعاء بالنصر للمسلمين، وهذه البيانات هي شبيهة بالبيانات العسكرية الحديثة، ومما ذكر منها: (فلما كان بعد الظهر قرأت بطاقة بالجامع تتضمن أن الساعة الثانية من نهار السبت هذا اجتمعت الجيوش الشامية والمصرية مع السلطان في مرج الصفر وفيها طلب الدعاء من الناس والأمر بحفظ قلعة دمشق والتحرز على الأسوار).[٨١]

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن موقعة شقحب، انظر: **البداية والنهاية**، لابن كثير، ج ١١ ص ٢٣، حوداث سنة ٧٠٢هـ.

كانت هذه المعركة التي وقعت في رمضان كاسرة لشوكة التتار وكُشِفَ عن المسلمين غمة عظيمة.

وأحداث رمضان في تاريخ المسلمين عديدة فقد كان شهر عبادة وجهاد وعمل ولذلك فإنهم سادوا الدنيا وقادوها، وكان الصيام والعبادة عونًا لهم في هذه السيادة والعزة وأحداث رمضان التاريخية كثيرة، والله المستعان.

ضحايا صلاح الدين في عيد المسلمين

قصة قرأتها في بعض كتب التاريخ عن بطولات صلاح الدين الأيوبي ـ رحمه الله ـ فأحببت أن أسجلها للقارئ وهي تعرض لأسلوب الصليبيين في إيذاء المسلمين وكيف واجهه صلاح الدين الأيوبي بأسلوب قاطع له.

تعرض العالم الإسلامي في القرن الخامس الهجري لموجة قوية من الغزو الأوروبي النصراني عرفت بالحملات الصليبية، كان هدفها الاستيلاء على بيت المقدس وبلاد الشام وطرد المسلمين منها

والامتداد في البلاد الإسلامية الأخرى وقد استولى الصليبيون بالفعل على بيت المقدس، وقتلوا جميع من فيه من المسلمين دون التفريق بين أحد منهم فقتلوا الرجال والنساء والأطفال والشيوخ والشباب، دون وازع يمنعهم عن ذلك، ورفعوا الصليب فوق قبة المسجد الأقصى ودنسوه بالخنازير عن عمد بغرض إهانة المسلمين، وسيطروا على منطقة كبيرة من بلاد الشام وحاولوا الامتداد إلى الحجاز، حيث أقاموا مستعمرة صليبية في منطقة الكرك ـ في الأردن حاليًا ـ وحاولوا الامتداد منها إلى مهد الإسلام الجزيرة العربية عمومًا وفي منطقة الحجاز خصوصًا، ووصلوا بالفعل إلى منطقة دومة الجندل شمال الجزيرة العربية، فكان صلاح الدين الأيوبي لهم بالمرصاد حيث قاد بعض الحملات العسكرية ضدهم حتى أجلاهم عن دومة الجندل.

وقد فكر الصليبيون في سنة ٧٥٨هـ بالوصول إلى المدينة المنورة عن طريق البحر الأحمر (بحر القلزم)، كما كان يسمى في تلك الفترة بسفن حربية ولكن المسلمين تمكنوا من الاستيلاء عليها، وطهروه من الغزاة المعتدين وأفسدوا عليهم مخططهم، وسيطروا على منافذ البحر الأحمر الشمالية.

فأعد الفرنجة مجموعة مفككة من السفن حملوها على الجمال وأنزلوها ووجهوها في البحر الأحمر، وأخذت تجوب البحر

الأحمر وتقطع الطريق على سفن المسلمين التجارية فيه وحينما اقترب موسم الحج أخذت تعترض بعض السفن التي تحمل الحجاج وتغرقها بمن فيها، بعد قتل بعضهم وسلبهم فأخافوا الحجاج المتوجهين بحرًا إلى الحجاز وأوقعوا الرعب في قلوبهم.

وقد أغاظ ذلك صلاح الدين الأيوبي ـ رحمه الله ـ، فتحرك لمواجهتهم وبعث لهم بعض السفن الإسلامية التي أخذت تطاردهم وتضيق عليهم وتمنعهم من إيذاء المسلمين ودارت بينها وبين سفن الصليبين معارك انتهت بهروب من في سفن الصليبين إلى الساحل الإفريقي، نواحي عيذاب ـ من الأراضي السودانية حاليًا ـ فلحق بهم المسلمون برًا وأسروهم وأمر صلاح الدين ببعضهم أن يساقوا في موسم الحج إلى مكّة وينحروا مع الهدي الذي يقدمه المسلمون في منى في موسم الحج، وبالفعل قدم أولئك المجرمون القتلة هدايا مع الأضاحي فكان هذا تأديبًا لكل ممن تسول له نفسه من الصليبين إيذاء الحجاج أو الوصول إلى الحجاز، [٨٢] وهذا جزاء من يقتل ويغرق الحجاج في البحر لا لشيء إلا للحقد والكره، رحم

(١) انظر: **مفرج الكروب**، لابن واصل، ج ٢، ص ١٢٨. **الكامل**، لابن الأثير، ج ١١، ص ٤٩٠. **الروضين في أخبار الدولتين**، لأبي شامة، ج ٢٩، ص ٣٧. **البداية والنهاية**، لابن كثير، ج ١، ص ٢١١.

الله صلاح الدين الأيوبي، رحمة واسعة، وتقبل هديته، فنعم ما قدم.

❁❁❁

فتح مكّة والرحمة (٨٣)

صالح رسول الله ﷺ قريش في السنة السادسة للهجرة عام الحديبية، وكان ضمن شروط صلح الحديبية (إن من شاء أن يدخل في عقد محمد بن عبد الله ﷺ دخل فيه، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش دخل فيه) فدخلت خزاعة في عقد النبي ﷺ، ودخلت بكر في عقد قريش فاعتدت بكر على خزاعة وساعدتهم في ذلك

(١) لمزيد من التوسع انظر: **السيرة النبوية**، لابن هشام، (ذكر الأسباب الموجبة للسير إلى مكّة، وذكر فتح مكّة).

قريش فُعد هذا نقضًا للعهد من قبل قريش، وقد جاء أحد زعماء خزاعة وهو عمرو بن سالم الخزاعي فأنشد الرسول ﷺ أبياتًا يستحثه فيها على العهد ومساعدتهم بناءًا على العهد وخصوصًا أن قريشًا ساعدت حلفاءها وهذا اعتداء على حلفهم مع المسلمين، وكان مما قال:

يا رب إني ناشد محمدًا حلف أبينا وأبيه إلا تلدا

إلى آخر القصيدة فقال ﷺ: نصرت يا عمرو بن سالم، ثم جاء وفد آخر من خزاعة يطلب مناصرة النبي ﷺ فوعدوهم خيرًا ثم إن قريشًا أحست بالخطر، وجاء زعيمها أبو سفيان بن حرب إلى المدينة ليجدد العهد مع النبي ﷺ، فدخل بيت ابنته أم المؤمنين حبيبة بنت أبي سفيان، حيث كان صهرًا للنبي ﷺ، فلما دخل البيت أراد أن يجلس على فراش النبي ﷺ، فرفعته عنه ابنته أم حبيبة زوج رسول الله ﷺ، فقال أبو سفيان: يا بنية ما أدري أرغبت بي عن الفراش أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ، فقال: والله لقد أصابك بعدي شر، ثم إن أبا سفيان أتى النبي ﷺ فكلمه فلم يرد عليه ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه ليتوسط له عند النبي ﷺ فقال ما أنا بفاعل، ثم كلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: أنا اشفع لكم عند رسول الله ﷺ والله لو لم أجد إلا الذر

لجاهدتكم به، ثم أتى عليًا وعنده فاطمة والحسن بن علي بينهما غلام صغير فقال له علي: والله لقد عزم رسول الله على أمر لا نستطيع أن نكلمه فيه فقال لفاطمة (رضي الله عنها) : يا بنت محمد هل لك أن تأمري ابنك هذا أن يجير الناس فيكون سيد العرب؟ فقالت: ما بلغ ابني هذا أن يجير الناس، فلما اشتد الأمر عليه قال لعلي ﷺ، أنصحني فقال له علي: أنت سيد كنانة فقم فأجر بين الناس ثم ألحق بأرض قومك، قال أو ترى ذلك يغني عني شيئًا قال علي ﷺ لا ولكن لا أجد لك غير ذلك، فقام أبو سفيان في المسجد وقال إني قد أجرت بين الناس، فلما قدم مكَّة قال له أهلها والله ما زاد علي على أن سخر بك.

ثم أن رسول الله ﷺ جهز الناس للغزو، وكان حريصًا على أن لا تعلم قريش بخبر تحركه، وأرسل إحدى سراياه الطلائعيه إلى جهة غير مكَّة حتى يظن الناس أنه يجهز لتلك الجهة وفي الوقت نفسه أخبر أصحابه أنه متوجه إلى مكَّة وطلب منهم أن يكتموا الخبر وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها.

وخرج الرسول ﷺ إلى مكَّة في رمضان سنة ٨ هـ، وخرج معه خمسة آلاف من المهاجرين والأنصار، ولحقت به جموع مسلمة من قبائل مزينة وسُليم، وغفار، وجهينة، وتميم، وأسد حتى كان

مجموع جيشه حين وصل قرب مكَّة عشرة آلاف مقاتل، نزل بهم رسول الله ﷺ مر الظهران.

وكان العباس بن عبد المطلب ﷺ قد قابل الرسول ﷺ وهو في الطريق مظهرًا إسلامه وقيل أنه كان يكتم إسلامه قبل ذلك بوقت طويل وله مواقف مع النبي ﷺ، منذ بيعة العقبة الثانية تدل على ذلك، وكان العباس حريصًا على إسلام قومه، فركب بعد ذلك بغلة النبي ﷺ، فيستأمنوه أو يسلموا، كان ﷺ قد أمر المسلمين أن يكثروا من نيرانهم ـ وكانوا في الليل ـ ليرعبوا أهل مكَّة حتى لا يقاتلوا، فأشعلت قرابة الألف نار في وقت واحد، فلما رأتها قريش خرج أبو سفيان ليستطلع الخبر وكان زعيمها، فلقيه العباس ﷺ عم النبي ﷺ فأمنه، ثم أتى به النبي ﷺ فأمضى تأمين العباس إياه فلم يعرض له المسلمون بشرٍ، وفي الصباح جاء به العباس ﷺ إلى النبي ﷺ فأعلن إسلامه، ثم إن العباس قال للنبي ﷺ، إن أبا سفيان يحب الفخر عند قومه فلو أمنت من دخل داره.

وكان النبي ﷺ حريصًا أشد الحرص على أن يكون دخوله إلى مكَّة سلميًا وأن لا يراق في ذلك دم، ولذا فعند دخوله مكَّة قسم جيشه إلى أربعة أقسام تدخل من جهات مكَّة الأربعة مظهرة قوتها وكافة عن الناس حتى يستسلم أهل مكَّة للأمر الواقع ويسلموا بسلام، وفي الوقت نفسه أعلن الرسول ﷺ: ((إن من دخل دار أبي

سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه داره فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن))، وبذلك أتاح كل فرص الأمان لمن رغب فيه، ودخل رسول الله ﷺ مكَّة بسلام وركزت رايته في الحجون، وقد لقيت كتيبة خالد بن الوليد ﷺ بعض المقاومة التي سرعان ما سقطت، وفر المشاركون فيها إلى بيوتهم أو إلى خارج مكَّة، وكان دخول رسول الله ﷺ دخول المتواضعين لله حيث كان مطأطئ الرأس خاشعًا لله تعالى، يقرأ سورة الفتح، ثم توجه إلى الكعبة وطاف بالبيت سبعة أشواط ثم قال ﷺ: لا اله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، إلا كل دم أو مأثرة فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ثم قال: يا معشر قريش ما تظنون إني فاعل بكم؟، قالوا: خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم، فقال ﷺ قولته المشهورة: اذهبوا فأنتم الطلقاء. ثم دعا على الأصنام، وكانت ثلاثمائة وستين صنمًا وكان يشير إليها ويقرأ: ﴿**وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾ الآية (٨١) [الإسراء]. فأسقطها جميعًا وأمر بها فحطمت، ثم بايع الرسول ﷺ من بايع من الرجال على الإسلام، ثم بُويع النساء على الإسلام، وعلى شروط أخرى خاصة بهن، وحين حضرت صلاة الظهر رفع بلال صوت الحق من على ظهر الكعبة معلنًا "الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدًا رسول الله" وقد

كره بعض حديثي الإسلام من قريش رؤيتهم وسماعهم لذلك ثم ندموا على ما قالوا بعد أن حسُن إسلامهم، وهكذا تطهرت مكَّة من الشرك لغير الله وانتهت قوتها المعاندة للإسلام وأصبحت أحد مدن المسلمين بل أهمها، حيث نظمها رسول الله ﷺ وعين عليها عتاب بن أسيد أميرًا.

وقد أهتم رسول الله ﷺ بتعليم أهل مكَّة الإسلام حيث بقي عندهم تسعة عشر يومًا غادر بعدها لملاقاة قبيلتي ثقيف وهوازن التي استعدت لقتال رسول الله ﷺ بعد أن فتح مكَّة، كان فتح مكَّة سببًا عظيمًا في خفة حدة العرب في حرب الإسلام، حيث دخل الناس بعد ذلك في دين الله أفواجًا، بعد دخول قريش فيه وسقوط أقوى قوى الشرك المعادية للإسلام.

كما بعث الرسول ﷺ سراياه وبعوثه لمختلف المناطق المجاورة لمكَّة حيث حطموا الأصنام وقضوا عليها بلا رجعة. صلى الله على نبي الهدى والرحمة والتوحيد، ورضي عن أصحابه البررة.

الهجرة والعبرة ١ ـ ٢

في هذه الأيام يتذكر الناس هجرة رسول الله ﷺ من مكَّة إلى المدينة ويتذكرون معها دروسًا وأحداثًا مرتبطة بحياة الرسول ﷺ بدعوة الحق التي رعاها في مكَّة وحملها معه إلى المدينة.

لقد كان ﷺ على الحق ويعرف ذلك معرفة اليقين، وكان كفار مكَّة ومعاندو الدعوة منهم يعرفون حقيقة رسول الله ﷺ وصدق رسالته وما جاء به، وباطل ما كانوا عليه من الشرك وعبادتهم لأوثان صنعوها بأنفسهم ومع ذلك استماتوا في الدفاع عنها وأراقوا دمائهم وأنفقوا أموالهم في سبيل باطل يعرفون

بطلانه، لكنه التكبر والغطرسة والغرور وبطر الحق، وكم في زماننا هذا اليوم من يحمل باطلاً ويدافع عنه بكل ما أوتي مع معرفته الحقة بأنه على باطل.

كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل قبل الهجرة ليجد ملجأ يؤويه وأصحابه وما حملوه من دعوه، ورغم ضعفه ﷺ وقلة الأسباب المادية الظاهرة كما يرى الناس فلم يقبل ما يحد الدعوة أو يربطها بوطن أو قوم معينين بكر بن وائل وكانوا في الأطراف الشمالية الشرقية للجزيرة العربية، أن يؤووا رسول الله ﷺ ويجيروه وينصروه ويحموه من كافة العرب أما الفرس فقد اعتذروا وقالوا لا طاقة لنا بهم، فكان رد رسول الله ﷺ إذًا لستم أصحابي، فلم يكن ليقبل شرط يحد من دعوته ويقيد رسالة رب العالمين إلى العالمين التي حملها ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ الآية (١٠٧) [الأنبياء].

ولذلك فإن الأنصار ﷺ حينما بايعوا الرسول ﷺ في العقبة لم يشترطوا مثل تلك الشروط فاستجاب لهم وقبل الهجرة معهم إلى المدينة بعد أن أعلنوا مناصرتهم التامة له لقد كان ﷺ يرنو ببصره لبناء دولة الإسلام ويخطط لها على ما وعده الله سبحانه وتعالى من نصرته وإظهار دعوته، فأخذ يخفي خبره عن قريش ويسعى للترتيب الدقيق للرحلة، ويتخذ كل الأسباب المادية لنجاح الرحلة

وإخفاء أمرها، مع أنه ﷺ كان أكثر الناس توكلاً على الله ومع ذلك فهو يؤكد لأمته في ذلك التوكل مع العمل في وقت لا غنى لأحدهما عن الآخر، سعت قريش لمنع رسول الله ﷺ من الخروج من مكَّة ورتبت أقويائها لقتله عند داره، ولكن الله نجاه من شرهم، وخرج الرسول ﷺ ومعه صاحبه أبو بكر الصديق ﷺ آخذين طريق المدينة، وارتعبت قريش وخرجت تطارد رسول الله ﷺ وجعلت الجوائز لمن يأتي به حيًا أو ميتًا، أجل إنه الإرهاب بعينه يستعمله أصحاب الباطل ضد حامل الحق رسول الله ﷺ وقد تسابق الفرسان للحاق بالرسول ﷺ وقد أريق دمه وسمح بقتله أو أسره، وهنا تحدث المعجزة، يصل سراقة بن مالك الجعشمي إلى منطقة قريبة من رسول الله ﷺ ويشاهده ويحاول اللحاق به فتحدث المعجزة، تسيخ قدما فرس سراقة في الأرض مرة وأخرى، حتى يتأكد أنه ممنوع بقدرة الله تعالى من اللحاق بالرسول ﷺ وصاحبه فيناديهما سراقة، ويطلب التحدث معهما، فيحادثه الرسول ﷺ ويسلم على أرجح الآراء ويكتب له أبو بكر ﷺ بأمر الرسول ﷺ أمانًا، مع أن الرسول هو الخائف والمطارد من قبل القوم ومع ذلك فإن سراقة يطلب الأمان لنفسه وبكتاب من الرسول ﷺ وتحدث معجزة أخرى في تلك الساعة حيث يخبر الرسول ﷺ سراقة بأنه

سيلبس سواري كسرى،[٨٤] ومن كسرى يا ترى؟ إنه أعظم ملوك الأرض، وهذا المطارد الذي جعل زعماء مكَّة الجوائز لمن يأتي به حيًا أو ميتًا يتحدث عن أعظم ملوك الأرض وعن فتح أتباعه من المسلمين لدياره وغنيمتهم أعز ما يملك، إن الإنسان ليعجز عن وصف الحادثة إذا علم زمن الحدث ووقت الضعف الظاهر للناس في تلك اللحظة، ولكن صدق الله العظيم ﴿**إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا**﴾ الآية (٤٠) [التوبة]، ولي وقفة أخرى مع الحدث بإذن الله، والله المستعان.

❁❁❁

(٨٤) انظر: **الروض الأنف**، للسهيلي، ج ٤ ، ص ٢١٨. **السيرة النبوية**، محمد الصلابي، ج ١ ، ص ٤٧٣.

الهجرة والعبرة ٢ ـ ٢

تحدثت في مقال سابق عن هجرة الرسول ﷺ من مكَّة إلى المدينة المنورة، والتي تضمنت العديد من الدروس والعبر، والموضوع موصول بالحديث السابق عن الموضوع نفسه.

كانت هجرة رسول الله ﷺ فصل بين الحق والباطل، إعلان لقيام دولة الإسلام، لحاق بركب المؤمنين وتجميع لهم في المدينة، كراهية للظلم وتحرك مضاد له وعدم خضوع للذلة والصغار والإهانة، كانت الهجرة فوق هذا كله إعلان لقيام دولة الحق

ووضع لبذرتها الأولى في المدينة والتي شبت عن الطوق بعد ذلك فبسطت سلطانها على مختلف أصقاع الأرض، ولا تزال الأرض تتأثر بأحداثها إلى اليوم الحاضر، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كانت تغليبًا للمبدأ والدين على حب البلد والوطن وعلى القوم إذا كانوا من أتباع الكفر والضلال والظلم، وعلى كل المقاييس المادية في سبيل رضا الله سبحانه وتعالى، ولا تذكر هجرة الرسول ﷺ إلاَّ ويذكر معها صاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي ذكر الله له هذا الموقف في كتابه العزيز في قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا**﴾ الآية (٤٠) [التوبة].

أجل لقد كان أبو بكر الصديق صاحب رسول الله ﷺ في الرحلة وفي الغار ولم يصحبه من الأمة غيره، وبهذا فإن الصديق واجب المحبة على الأمة برغم أنف الكارهين لذلك، كان إيمانه يعدل إيمان الأمة كما قال عنه ﷺ ولذلك فقد ذهب الصديق رضي الله عنه بفضل الصحبة في الهجرة على سائر أمة محمد ﷺ. كانت الهجرة إلى المدينة وكان في المدينة يهود، هاجروا إليها منذ زمن، انتظارًا لوصول الرسول ﷺ إليها، لأن عندهم في علم الكتاب مما أخبرهم به أنبيائهم: إن هذا المكان هو مهاجر النبي الأمي، وما رأوا

الرسول ﷺ حتى عرفوه حق المعرفة ﴿**يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ**﴾ الآية (١٤٦) [البقرة]. ولكنهم أرادوا أن يصرفوا الأمور كما يشاءون واعترضوا على مشيئة الله احتجوا أن لا يكون النبي منهم فتكبروا وعصوا وطغوا ولم يؤمنوا به رغم معرفتهم له، في المدينة حيث كان الأنصار الذين ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ الآية (٩) [الحشر]، الذين كان لهم مواقف مع رسول الله ﷺ أدركوا فيها الحق واتبعوه وانقادوا له، ومنهم القائلين لرسول الله ﷺ بعد ذلك، لا نقول لك ﴿**فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾ الآية (٢٤) [المائدة]،[٨٥] ولكن نقول لك اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون كانت هذه روح الأنصار منذ هجرة رسول الله ﷺ إليهم ولذلك أصبح الرسول في المدينة وعنده أنصاره، وفي الوقت نفسه عنده أعداءه وأعداء الله من اليهود الذين كانوا معوقًا لقيام دعوته ودولته ﷺ.

كان أول عمل قام به ﷺ لبناء دولته هو بناء مسجد قباء،[٨٦] نعم بناء الدولة عند رسول الله بدأ ببناء المسجد إنه التلازم الحقيقي بين الدين والدنيا، العمل للآخرة والعمل للدنيا صنوان في حياة رسول الله ﷺ، السياسة الأولى عنده وفي دولته تنطلق من

(٨٥) انظر: **السيرة النبوية**، لابن هشام، ج ٢، ص ٢١٥.
(٨٦) انظر: **تاريخ المدينة**، لعمر بن شبة، ج ١، ص ٦٣. **الروض الأنف**، السهيلي، ج ٤، ص ١٩٨.

المسجد كان ﷺ إمامًا في الصلاة وفي الوقت نفسه قائدًا في السياسة، لم يشهد تاريخ البشرية له مثيلاً على الإطلاق بل وربى أعظم سياسي وقواد العالم الخلفاء الراشدين ﷺ الذين كونوا ونظموا أعظم دولة عرفها تاريخ البشرية على الإطلاق كان فيها كل مظاهر التقدم والعدل والعطاء والمساواة، حتى أن غير المسلمين فضلوهم على بني جلدتهم وإخوانهم في دينهم ورضوا بحكم المسلمين وأحبوه خلال تلك الفترة لما رأوه من رحمتهم وعدلهم حتى مع أعدائهم.

سعى الرسول ﷺ منذ وصوله إلى المدينة إلى إيجاد التلاحم بين المهاجرين والأنصار، إلى المؤاخاة التي كانت في أروع صورها أقوام يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وقوم آخرين لا يسألون الناس إلحافًا.

كان عام الهجرة عامًا خاصًا لدى الأمة، له مكانته، ولذلك فإن الصحابة في زمن عمر بن الخطاب ﷺ حينما أرادوا التميّز عن الغير اتخذوا تاريخ المسلمين من هجرة رسول الله ﷺ وتميزوا بذلك عن سائر الأمم، ومع الأسف الشديد فإنك لا تكاد تجد ذكرًا للتاريخ الهجري في العديد من بلاد العالم الإسلامي، في الوقت الذي نرى فيه دولة إسرائيل الناشئة تحيي تاريخها وتقويمها العبري وتفرضه في كل المؤسسات داخل دولتها، بل وتحاول نشره على

مستوى العالم. أليست أمتنا هي الأولى بالتميز والمحافظة على ذلك التميز؟ إني لأعجب من التقليد مهما كانت الأعذار.

سعدت المدينة وأهلها بقدوم رسول الله ﷺ وأصبحت لها مكانتها بهذا التكريم، وتميزت على مدن الأرض بكونها عاصمة الرسول ﷺ ومدينة الرسول ﷺ التي تنورت بنور الإسلام وبوجوده ﷺ فيها، أخذ المؤمنون يفدون من كل مكان منهم الفقير والغني وذا الحاجة، وكانوا كلهم محل عطف وعناية سيدنا محمد ﷺ، كان يكلف المتعلم بتدريس الجاهل، والرامي بتدريب غيره، والفارس بتجهيز نفسه، والفقير بالعمل والاستغناء عن الآخرين، والغني بالإنفاق على إخوانه، وكان الجو كله إيمان وعمل ! إيثار وعطاء! تقديم وفداء!.

كانت قريش تحس بالخطر من هذا المجتمع المؤمن الناشئ ولذلك أخذت تدبر المكايد مع يهود ضد الرسول ﷺ والمؤمنين معه، وأخذت تمنع من في مكَّة من المؤمنين من الهجرة واللحاق برسول الله ﷺ وهكذا فإن مغادرة رسول الله ﷺ لمكَّة لم توقف أذى قريش له ولأصحابه، بل استمر الأذى من قريش لحامل الدعوة وأتباعه من المؤمنين، وهكذا الكفر والإلحاد ودعاته لا يتركون الفئة المؤمنة وإن تركوهم. كما أن الفئة المؤمنة تعمل على هزيمة الكفر وأهله وإن كانوا من أقرب الأقربين. ولذلك

فالكل يتوجس من الآخر وهكذا فإن الصراع بين هاتين الطائفتين أزلي لا يتوقف، مهما كان الظاهر غير ذلك، ومهما تطور العالم وكثرت خيراته، أو مخترعاته أو أدواته، ودروس الهجرة أكبر من أن تعرض في عجالة لكنه الشعور بالحبيب محمد ﷺ وتذكر مواقفه يوم الهجرة تدفعنا للاستفادة منها باستمرار، نسأل الله أن يعز الإسلام وأهله وأن يجعلنا من حملة دعوة الحق، هو وحده المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

غزوة بدر

تعتبر هذه المعركة أشهر المعارك في التاريخ الإسلامي على الإطلاق حيث سماها الله سبحانه وتعالي يوم الفرقان، في قوله: **﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** الآية(٤١) [الأنفال].

ومن أسبابها أن الرسول ﷺ كان يتتبع أخبار قريش ويتربص بهم، وقد آذوه وأخرجوه وأصحابه من ديارهم، وسطوا على أموالهم وسجنوا بعضهم وعذبوهم، فعلم ﷺ إن عيرًا لقريش قدمت

من الشام في طريقها إلى مكَّة، وهي بالقرب من المدينة، فندب الرسول ﷺ من كان حاضرًا من الصحابة للخروج معه، وخرج معهم على عجل دون استعداد، وكان يصحبه ﷺ بضعة عشر وثلاثمائة رجل أكثرهم راجلة، ليس معهم سوى فرسان وسبعون بعيرًا، كانوا يظنون أنهم سيلقون العير ـ القافلة ـ وأنهم لن يلقوا قتالاً ولذلك فإنهم لم يكونوا مستعدين الاستعداد الكامل.

كان قائد قافلة قريش هو أبو سفيان بن حرب، وكان حذرًا خائفًا على أموال القافلة التي معه، ولذلك كان يتحسس الأخبار على وجل من المسلمين، فعلم أن الرسول ﷺ قد خرج في طلبه والعير التي معه، فغير الطريق التي يسلكها وسار بالعير بالقرب من الساحل في طريق لم يكن المسلمون يتوقعونه، وفي الوقت نفسه كتب إلى قريش في مكَّة يستنفرها لتنقذ قافلتها من المسلمين، وخرجت قوات قريش مسرعة لتنقذ العير بزعمها، يترأسها (أبو جهل) الحكم بن هشام، وخرج معه كبار رجالات قريش وشجعانها ورؤوس الكفر والمعاندين لله ورسوله من أهلها، نجح أبو سفيان في إنقاذ العير من المسلمين، واقترب من مكَّة وأمن على قافلته، وأرسل مندوبًا منه إلى أهل مكَّة يبلغهم بنجاة العير ويطلب منهم العودة إلى مكَّة.

لكن أبا جهل زعيم قريش أصر على التحدي والكبر والخيلاء، حيث أعلن أنه لن يرجع حتى يرد ماء بدرٍ وينحر الإبل ويطعم الطعام، ويشرب الخمر وتعزف القيان، وتسمع العرب بمسيرهم، فتكون هيبة لهم طول الدهر، وبالفعل واصل جند مكَّة مسيرتهم إلى بدر هدفهم المنشود.(٨٧)

علم ﷺ بتحرك قريش فجمع الصحابة ليستشيرهم، وكان ﷺ، وهو المعصوم المسدد يستشير أصحابه دائمًا لأمرين هامين، الأول توحيد صفوف المسلمين وتطييب خواطرهم وهو هام خصوصًا مع الأنصار في هذه المرحلة وهم أهل الدار، الأمر الثاني الوصول إلى القرار الأصوب.

طرح ﷺ الأمر على جموع صحابته المرافقين له قائلاً لهم: (أشيروا علي أيها الناس) وتكلم جمع من المهاجرين فيهم أبو بكر وعمر ﷺ، كان من المتكلمين المقداد بن عمرو ﷺ الذي قال: (يا رسول الله والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه) فدعا له الرسول ثم قال

(٨٧) انظر: **صحيح البخاري** (فتح الباري)، ج ١٥، ص ١٤٨. **السيرة النبوية**، ابن هشام، ج ٢، ص ١٨٢.

مرة أخرى: ((أشيروا علي أيها الناس)) وكان ﷺ يريد رأي الأنصار فهم أهل الدار، الأكثرية ويريد الرسول ﷺ أن يكسب قلوبهم ولا يتصرف إلا بقناعة منهم تحافظ على الصف المسلم، خصوصًا وهو أول لقاء بين الرسول ﷺ وجنده من المهاجرين والأنصار، وبين قريش ورؤوس الكفر فيها، فبادر سعد ابن معاذ ﷺ يقول: لكأنك تريدنا يا رسول الله، وذكر أنهم على عهده وقال: يا رسول الله امض لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا وإنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينيك، فسر على بركة الله.(٨٨)

سر رسول ﷺ بقول سعد ودعا له وللمهاجرين والأنصار، واطمئن إلى موقف جنده من اللقاء.

فسار وسار معه الصحابة، وهو يقول لهم سيروا وابشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين وذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ**﴾ الآية (٧) [الأنفال]،

---

(٨٨) انظر: **السيرة النبوية**، ابن هشام، ج ٢، ص ٦١٥. **السيرة النبوية**، أكرم العُمري، ج ٢، ص ٣٥٩. **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**، مهدي رزق الله، ص ٣٤١.

وسار الرسول ومن معه باتجاه بدر، وهم موقنون أنهم سينالون عير قريش أو جيشها.

نزل الرسول قرب بدر وهو يتحسس الأخبار عن الأعداء، وعلم الرسول ﷺ أن القوم ما بين التسعمائة إلى الألف وعلم من في الجيش من صناديد قريش فقال ﷺ: ((هذه مكَّة قد ألقت إليكم أفلاذ أكبادها)) وتيقن الرسول ﷺ ومن معه أن المواجهة ستكون مع ذات الشوكة شجعان مكَّة وفرسانها، وأن العير قد فاتتهم.

جاء الحباب بن المنذر ﷺ إلى النبي ﷺ : قد كان نزول المسلمين على أدنى ماء لبدر فقال بأدب مع الرسول ﷺ يعرض عليه رأيًا صائبًا: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أنزلكه الله أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال ﷺ : بل هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال: يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فتنزله ثم نغور ما وراءه من القلب ونبني عليه حوضًا ونملؤه ماء فنشرب ولا يشربون. فدعا له الرسول ﷺ، وقال: لقد أشرت بالرأي، [٨٩] وكان هذا الموقف من القائد ﷺ درس عظيم في استماع القائد إلى رأي جنده للوصول إلى الموقف

(٨٩) انظر: **السيرة النبوية**، ابن هشام، ج ٢، ص ٦٢٠. **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**، مهدي رزق الله، ص ٣٤٥.

الأسلم، واتخاذ الأسباب الدنيوية والمادية مع التوكل على الله وهو الأساس في كل تحركاته ﷺ.

وكان الرسول ﷺ يخبر بمصرع عدد من زعماء قريش، بل ويُري الصحابة ﷺ الأماكن التي سوف يصرعون فيها، مما زاد من يقينهم بنصر الله لهم، وبنى الصحابة عريش لرسول الله ﷺ يخلو فيه بعض الوقت للدعاء والصلاة، مع بقائه في مقدمة الصفوف في القتال فقد كان أشجع الشجعان.

وصلت قريش قبل المعركة، فلما أقبلت قال ﷺ: اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلها وفخرها تحادك وتكذب رسولك فنصرك الذي وعدتني، اللهم احنهم الغداة.

حاول بعض حلماء قريش أن يثنوا قومهم عن الحرب ويقنعوهم بالرجوع إلى مكَّة، لكن أبا جهل وأمثاله من زعماء الكفر افسدوا عليهم واقنعوا قريش بالعناد والمجابهة ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً.(٩٠)

بات المسلمون ليلة بدر وهم يدعون الله ويتضرعون إليه بالنصر والفوز على الأعداء، وأنزل الله سكينته عليهم فكانوا هادئين

---

(٩٠) **السيرة النبوية**، ابن هشام، ج ٢، ص ٦٢٢. **المغازي**، الواقدي، ج ١، ص٦٣.

وأصابهم النعاس، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿**إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ**﴾ الآية(١١) [الأنفال]. وكان الرسول ﷺ تلك الليلة سهران يبكي ويتضرع إلى الله بالدعاء أن ينصر المؤمنين.(٩١)

أما مشركو قريش فقد باتوا يأكلون ويشربون الخمر وتعزف لهم القيان، ويفاخرون بقوتهم وما أوتوا من الماديات، ويصرون على كفرهم وشركهم ومعاندتهم لله ورسوله.

وفي صبيحة يوم المعركة صلى المسلمون خلف رسول الله ﷺ، وبعد الصلاة خطبهم وحضهم على القتال والصبر.

فيقوم الرسول ﷺ بنفسه على تنظيم صفوف المسلمين وتوجيههم، وكان مما قال لهم ﷺ: ((إن اكتنفكم القوم فأنضحوهم عنكم بالنبل)) وكان ﷺ يعجبه الرمي ويحث عليه، وبينما رسول الله ﷺ يسوي الصفوف إذا بسواد بن غزية قد ند من الصف فيسوسه ﷺ بسهم كان في يده ويقول له: استوي يا سواد، فيقول: أوجعتني يا رسول الله فدعني اقتد منك فيكشف له ﷺ عن بطنه الشريف ليقتد لنفسه، فيقبل بطن رسول الله ﷺ، فيقول

---

(٩١) انظر: **صحيح البخاري** (فتح الباري)، ج ١٥، ص ٢٥٤.

له الرسول ما حملك على هذا يا سواد؟ فيقول: يا رسول الله قد حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك فدعا له ﷺ.[٩٢]

وانتظر القوم أمر الرسول ببدء القتال، ورجع الرسول إلى العريش وأخذ يدعو ربه: ((اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد اللهم أنجز لي ما وعدتني)) ولم يزل يدعو وبجواره أبو بكر ﷺ حتى أشفق عليه فقال له: يا نبي الله بعض مناشدتك ربك، فأنه منجز لك ما وعدك ثم أغفى إغفائه ثم قال: ابشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده فاستبشر المسلمون بعد أن خرج إليهم الرسول ﷺ وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿**سَيُهزَمُ الجَمعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ** (٤٥) **بَلِ السَّاعَةُ مَوعِدُهُم وَالسَّاعَةُ أَدهَى وَأَمَرُّ**(٤٦)﴾[القمر]، وأخذ ﷺ يشجع الناس على القتال ويذكرهم بالجنة ويبشرهم بنزول الملائكة معهم، وفي الوقت نفسه أعدت قريش صفوفها واستعدت للقتال.

وقد حاول أحد القرشيين الشرب من الماء مخترقًا صفوف المسلمين، فتصدى له حمزة بن عبد المطلب فقتله،[٩٣] ثم بدأت أول

---

(٩٢) **المغازي**، الواقدي، ج ١، ص ٥٦، ٥٧.

(٩٣) **السيرة النبوية**، ابن هشام، ج ٢، ص ٦٢٤. **المغازي**، الواقدي، ج ١، ص٦٨.

مبارزة في المعركة بين عتبة بن ربيعة وابن أخيه شيبة وابنه الوليد ابن عتبة من المشركين، وبين حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث من المسلمين وكلهم من آل النبي ﷺ وانتهت تلك المبارزة بمقتل المشركين الثلاثة وجرح واستشهاد عبيدة بن الحارث رضي الله عنه، ثم التحم الجمعان وبدأت المعركة وأخذ الرسول ﷺ حفنة من الحصباء ورماها على القوم وقال شاهت الوجوه.(٩٤) واشتد القتال بين الطرفين وكان الرسول ﷺ في مقدمة الصفوف حتى أن الصحابة كانوا يحتمون به ﷺ، وكان لكثير من الصحابة مواقف بطولية في هذه المعركة، ولاحت بشائر النصر للمسلمين، وانهزم المشركون وقتل صناديدهم أمثال أبي جهل وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف وغيرهم بلغ عددهم سبعون رجلاً (٩٥) وولى الأحياء منهم الأدبار منهزمين لا يلوون على شيء واستشهد من المسلمين أربعة عشر شهيدًا.(٩٦)

أقام المسلمون مع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام في بدر بعد المعركة، دفنوا فيها شهدائهم الذين بلغوا أربعة عشر شهيدًا وأما قتلى

(٩٤) انظر: **السيرة النبوية**، ابن هشام، ج ٢، ص ٧٠٦.
(٩٥) انظر: **صحيح البخاري**(فتح الباري)، ج ١٥، ص ١٦٧. **السيرة النبوية**، ابن هشام، ج ٢، ص ٦٤٢، ٦٢٥. **المغازي**، الواقدي، ج ١، ص ٨٢.
(٩٦) انظر: شهداء بدر عن ابن هشام في **السيرة النبوية**، ج ٢، ص ٧٠٦، ٧٠٧.

المشركين فقد ألقوا في قليب بدر ووقف عليهم رسول الله ﷺ: يا أهل القليب يا فلان يا فلان... يا أبا جهل هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًا؟ فقال له المسلمون يا رسول الله: أتكلم أجساد لا روح لها ؟ قال لهم ﷺ: والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم.(٩٧)

وبعد ذلك عاد الرسول ﷺ ومن معه من المجاهدين إلى المدينة سالمًا غانمًا فاستقبله المسلمون من أهل المدينة بالسرور العظيم لسلامته ﷺ، ولانتصار المسلمين هذا النصر المبين، وقد كان قسم آخر من سكان المدينة مغتاظون من انتصار المسلمين حيث كان اليهود والمنافقين وبقايا المشركين في المدينة يكرهون ما أصاب المسلمين من قوة وعزة ونصر وقد نزلت بعض الآيات في أحداث غزوة بدر ومنها قوله تعالى: ﴿**كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ** (٥) **يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ** (٦) **وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ** (٧) **لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ**

(٩٧) انظر: **السيرة النبوية**، ابن هشام، ج ٢، ص ٦٤٣. **المغازي**، الواقدي، ج١، ص ١٤٤.

الْمُجْرِمُونَ (٨) إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ (١١) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٣) ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ (١٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦) فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٧) ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ (١٨) إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (١٩)﴾ [سورة الأنفال]. ويقول الله سبحانه وتعالى عن أحداث هذه الغزوة في موضع آخر من السورة

﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١) إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢) إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ (٤٤)﴾ [سورة الأنفال]، وتواصل بقية سورة الأنفال الحديث عن بعض القضايا المتعلقة بالجهاد عمومًا وبغزوة بدر خصوصًا، وأصبحت تلك السورة تسمى سورة الجهاد وداوم المسلمون على قراءتها في صفوف القتال قبل المعركة في كل غزوات الفتح، وخصوصًا في عصر الراشدين حيث كانوا يعينون القراء في كل جيش نظرًا لأهمية تعلم وقراءة هذه السور لما فيها من معاني الجهاد وقواعده الأساسية وموعود الله للشهداء من المؤمنين الصابرين.

كانت غزوة بدر هي أول انتصار محقق للمسلمين على مشركي مكَّة وقد تناقل العرب أخبارها وعلم الناس بعدها أن المسلمين أصبح لهم قوة يحسب لها حسابها وكانت ولا زالت درسًا لا ينسى لأتباع محمد ﷺ إلى يوم الدين، والله المستعان.

❁❁❁

غزوة أحد

ما كانت قريش لتسكت بعد هزيمتها في بدر ولذلك فإنها أخذت تعد العدة لغزو المسلمين في المدينة، وقام أعداء الإسلام كل منهم بدوره، فالذين قتل آبائهم أو أبنائهم أو أحد من أهليهم من قريش كانوا يسيرون في الناس ليحرضوهم على محمد ومن

معه، واليهود على رأسهم يدورون في مكَّة ويشتركون في تحريض زعمائها،[٩٨] والمنافقون في المدينة يعدون قريش ويمنونهم بالمساعدة إن قدموا لاستئصال محمد ومن معه، وأهل الأموال يبذلون أموالهم في سبيل قتال محمد ومن معه، والإعداد المادي لذلك، وتم استعداد قريش ومن حالفها من قبائل تهامة وغيرهم وتوجه جيشها بحديده ورجاله وعبيده، وبعض نسائه يقصدون المدينة.

في هذه الأثناء كانت الأخبار تأتي لرسول الله ﷺ من عيونه في مكَّة عن تحرك القوم.

جمع الرسول ﷺ المسلمين واستشارهم في الأمر كعادته، واختلفت آرائهم، فمنهم من رأى الخروج للقاء الأعداء خارج المدينة وكانوا الأكثرية، ومنهم من رأى البقاء في المدينة، وقتال المشركين من داخلها إنهم دخولها، وكان أصحاب الرأي القائل بالخروج للقاء القوم من شجعان المسلمين أكثروا على الرسول ﷺ فدخل داره ثم خرج إليهم وقد لبس درعه وسلاحه واستعد للقتال، فندم الذين أكثروا على الرسول ﷺ بالخروج وقالوا: يا رسول الله استكرهناك ولم يكن لنا ذلك فإن شئت فأقعد. فقال ﷺ ما

(٩٨) انظر: **السيرة النبوية**، لابن إسحاق، ص ٣٠١. **السيرة النبوية**، ابن هشام، ج ٣، ص ٦٠.

ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل.[٩٩]

وكانت قريش قد نزلت إحدى الأودية بالقرب من المدينة فخرج الرسول ﷺ ومعه ألف من أهل المدينة، وفي الطريق إلى أحد رجع زعيم المنافقين عبد الله بن أبي سلول، ومعه ثلث الجيش خاذلين لرسول الله ﷺ، وما ذاك إلا لأن ابن أبي كان يرى البقاء في المدينة، وثبت المؤمنون مع رسول الله ﷺ.

كانت أُحد هي منزل رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين، اختار الرسول ﷺ الموقع بنفسه ونظم صفوف المسلمين فيه حيث جعل مركز الجيش في الشعب، وجعل جبل أُحد من خلفهم، وأختار جبلاً صغيرًا أمام القوم وعين فيه خمسين من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير وأوصاهم أن يثبتوا في مكانهم حتى يأتيهم أمر الرسول وأن ينضحوا المشركين عن المسلمين بالنبل، حتى لا يأتوا المسلمين من الخلف، وأوصاهم بالثبات مهما كانت نتيجة المعركة وانتظار أوامر الرسول ﷺ.

واختار الرسول مصعب بن عمير لحمل لواء المسلمين، وصف الرسول ﷺ أصحابه المجاهدين معه، وذكرهم بموعود الله من

---

(٩٩) انظر: **السيرة النبوية**، ابن إسحاق، ص ٣٠٣. **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**، مهدي رزق الله، ص ٣٨١.

الجنة، والصبر والثبات عند اللقاء، ثم رد بعض الصغار إلى المدينة.(١٠٠)

وفي جهة المشركين قام زعيمهم أبو سفيان بتعبئة جنده، وكانوا قرابة ثلاثة آلاف مقاتل أكثر من ثلاثة أضعاف المسلمين، وقسمهم، وجعل على الميمنة خالد بن الوليد، وأخذ المفوهون منهم يحرضون الناس على القتال، وتكلمت النساء وذكرَّنهم بمن قتل من أهلهم في بدر العام الماضي، بدأت المعركة وقد أخذ كل موقعه وأخرج الرسول ﷺ سيفاً كان معه فقال من يأخذ هذا بحقه، فقام إليه أبو دجانة سماك بن خرشه ﷺ وقال: يا رسول الله وما حقه، فقال ﷺ : أن تضرب به هام المشركين حتى ينحني، فأخذه أبو دجانة، وأخرج من جيبه عصابة حمراء فربطها على رأسه وأخذ يختل بالسيف فقال ﷺ : إن هذه مشية يبغضها الله ورسوله إلا في مثل هذا الموطن، وبدأت المعركة وحمى القتال، وقاتل أبو دجانة بسيف رسول الله ﷺ قتال الأبطال، كما قاتل حمزة ﷺ بشجاعة لا نظير لها وقاتل غيرهم من شجعان المسلمين، حتى لاحت الهزيمة في صفوف المشركين وبدأ النصر واضحًا للمؤمنين، وولى المشركون من الميدان وتبعهم المسلمون يقتلون

(١٠٠) انظر: **السيرة النبوية**، ابن إسحاق، ص ٣٠٣ ــ ٣٠٨. **المغازي**، الواقدي، ج١، ص ٢٢١.

منهم، وأخذ المسلمون يجمعون الغنائم، فلما رأى الرماة ذلك من على الجبل تحركوا من أماكنهم، وحاول عبد الله بن جبير أن يمنعهم من المغادرة مذكرًا إياهم بأمر الرسول، ولكنهم عصوا وانصرفوا ولم يثبت معه إلا نفر يسير دون العشرة.(١٠١)

كان خالد بن الوليد ومعه جماعة من فرسان قريش يرقبون الموقف عن كثب، فلما رأى الرماة قلة لا يستطيعون منع الخيل حمل عليهم، فقتلهم وقائدهم، ثم نزل بالفرسان إلى المسلمين، وهم مكشوفون فأتوهم من الخلف، ورجع جند قريش بمساعدة الفرسان وتغير مسير القتال وأصبح في صالح مشركي قريش الذين حاولوا أن يصلوا إلى رسول الله ﷺ شخصيًا ليقتلوه، وتبارى في ذلك شجعانهم، وفي نفس الوقت صمد رسول الله ﷺ وقاتل قتال الأبطال وقتل بيده أُبيّ بن خلف الذي كان معاندًا وحريصًا على قتل الرسول، ويردد: محمد لا نجوت إن نجا فرفض الرسول ﷺ أن يبادر أليه أحد من الصحابة غيره حيث واجهه ﷺ بحربة أصابته إصابة مات منها فيما بعد، ثم إنه ﷺ وقع في أحد الحفر فشج رأسه وكسرت رباعيته وشقت شفته، وصمد نفر من الصحابة مع رسول الله ﷺ واستماتوا في الدفاع عنه منهم أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه، وسهل بن حنيف، ومنهم مصعب بن عمير حامل لواء المسلمين الذي استشهد بين يدي النبي ﷺ، ومنهم علي بن أبي

(١٠١) انظر: **السيرة النبوية**، ابن إسحاق، ص ٣٠٥.

طالب وأبو دجانة وسعد بن أبي وقاص بل وأم عمارة رضي الله عنهم أجمعين، وأشاع المشركون أنهم قتلوا رسول الله ﷺ ، ففت ذلك في عضد المسلمين فقام الصحابي أنس بن النضر فقال: ما يجلسكم، قالوا قتل محمد رسول الله قال فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل ﷺ فوجد به يومئذ سبعين طعنة فما عرفه إلا أخته ببنانه.(١٠٢)

واستشهد جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وصل عددهم إلى السبعين رجلاً، منهم عمه حمزة بن عبد المطلب الذي قتله غلام حبشي يدعى وحشي، وسعد بن الربيع، ومصعب بن عمير، وعبدالله بن جحش وحنظلة الغسيل وغيرهم.(١٠٣)

إلتجأ الرسول ومن معه إلى الشعب، وعلا أبو سفيان الجبل على رسول ﷺ، فقال: اللهم لا ينبغي لهم أن يعلونا فقاتل عمر بن الخطاب وبعض الصحابة ورموهم بالحجارة حتى أنزلوهم ، فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد؟ فقال ﷺ: لا تجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثم قال: أفي القوم عمر بن الخطاب ؟ ثم قال

---

(١٠٢) انظر: **السيرة النبوية**، ابن اسحق، ص ٣٠٩. **تاريخ الطبري**، ج٣،ص١٨.

(١٠٣) انظر: **صحيح البخاري(فتح الباري)**، ج ١٥ ، ص ٢٣٩. **سبل الهدى والرشاد**، الشامي، ج ٤ ، ص ٣٢٢.

أبو سفيان: إن هؤلاء قد قتلوا، ولو كانوا أحياء لأجابوا فلم يتمالك عمر بن الخطاب نفسه فقال: كذبت يا عدو الله أبقى الله لك ما يخزيك ثم قال أبو سفيان: أُعل هبل فقال ﷺ: أجيبوه قالوا ما نقول. قال: قولوا الله أعلى وأجل، فقال أبو سفيان: لنا العُزى ولا عُزى لكم، فقال ﷺ: أجيبوه قالوا ما نقول، قال ﷺ: قولوا الله مولانا ولا مولى لكم، قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، قالوا: لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار، ثم قال أبو سفيان: موعدكم بدر العام القادم.(١٠٤)

غادرت قريش أرض المعركة بعد أن هلك منهم أربعة وعشرون قتيلاً، وداوى المسلمون جرحاهم وفيهم رسول الله ﷺ، وصلى المسلمون على الشهداء ودفنوهم، ثم رجع الرسول ﷺ ومن معه إلى المدينة ودخلوها والنساء تبكي القتلى، فتأثر رسول الله وذرفت عيناه وكان ﷺ حذرًا، فخشى من عودة قريش فخرج في اليوم التالي لطلب العدو وإرهابه حتى لا يعودوا إلى المدينة، وقال ﷺ: لا يخرج معنا إلا من حضر بالأمس،(١٠٥) وصل المسلمون إلى حمراء

---

(١٠٤) انظر: **صحيح البخاري (فتح الباري)**، ج ١٥، ص ٢٢٧. **السيرة النبوية**، ابن إسحاق، ص ٣١٣.

(١٠٥) انظر: **صحيح البخاري (فتح الباري)**، ج ١٥، ص ٢٥٣. **المغازي**، للواقدي، ج ١، ص ٤٩. **السيرة النبوية**، ابن هشام، ج ٣، ص ١٠٣.

الأسد، على مسيرة ثمانية أيام من المدينة، وبقى فيها ثلاثة أيام ووصلت أخباره إلى قريش، وكانوا قد فكروا بالعودة للهجوم على المدينة، فلما علموا بتتبع الرسول لهم تراجعوا عن ذلك، وأخذوا يسرعون بالعودة إلى مكَّة. وقد نزلت آيات من القرآن الكريم تتحدث عن ما جرى على المسلمين في أحد ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢) إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣) ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤)إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ

الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا اللّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥)﴾ [آل عمران].

ثم يقول سبحانه وتعالى في موضع آخر من السورة نفسها: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥) وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٦٨) وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١) الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ

﴿يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤)﴾ [آل عمران].

وكانت هذه الغزوة ابتلاءًا لصف المؤمنين وتمحيصًا اختار الله فيه بعض الشهداء وفضح فيها بعض المنافقين، وتاب فيها على المؤمنين، فكانت من أهم غزوات الرسول ﷺ التي شهدها بنفسه وأصابه ما أصاب أصحابه من البلاء والجراح والتعب.

❁❁❁

نور الدين محمود بطل الجهاد ضد الصليبيين

هو نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي صاحب الموصل المجاهد الأول للصليبيين، رباه والده منذ صغره على القرآن،

والفروسية، حيث أوكل تربيته منذ الصغر إلى أحد العلماء، فلما شب كان مرافقًا لأبيه في جهاده، فكان رجلاً صالحًا ومجاهدًا في الوقت نفسه، تولى حلب بعد وفاة أبيه وتولى أخوه الأكبر سيف الدين زنكي على الموصل،[١٠٦] وحاول الوشاة الإيقاع بينهما، فأحس كل منهما بأهمية الاتفاق وعدم الفرقة والبعد عن حب الذات نظرًا لما كان فيه المسلمون من خطر من قبل الصليبيين وأن أي اختلاف بينهما سيستغله الأعداء، ولذلك فقد تواضع نور الدين لأخيه الأكبر سيف الدين والتقيا في الشام أثناء زيارة لسيف الدين حاكم الموصل فقال: (إنما غرضي أن تعلم الملوك والفرنج اتفاقنا فمن يريد السوء بنا يكف عنا)،[١٠٧] ولم يلبث سيف الدين أن توفى سنة ٥٤٤هـ فأصبح نور الدين صاحب الكلمة العليا في مملكة حلب وما يتبعها دون أن يكون خاضعًا لأحد.

ومنذ أن تولى نور الدين على حلب فقد وضع نصب عينيه قضية الإصلاح الداخلي وجهاد أعداء الإسلام من الصليبيين وأعوانهم، فأخذ في مواجهة الصليبيين، وكان من أوائل أعماله الجهادية صده هجومًا للصليبيين على الرها سنة ٥٤١هـ، وكان ـ رحمه

(١٠٦) ابن واصل: **مفرج الكروب**، ج ١، ص ١٠٩، وابن الوردي: **تاريخه**، ج ٢، ص ٦٦.
(١٠٧) ابن واصل: **مفرج الكروب**، ج ٢، ص ١١٢.

الله ـ حازمًا فأدب من فيها من الأرمن الذين مالؤوهم،[١٠٨] وقطع بذلك أمل الصليبيين في احتلالها مرة أخرى كما قام رحمه الله بتحرير العديد من الحصون والمواقع العسكرية الصليبية المجاورة لحلب.

توجهت الحملة الصليبية الثانية لاحتلال دمشق فتوجه نور الدين محمود لمجاهدتهم وما أن علموا بقربه منهم حتى انسحبوا من مواقعهم قرب دمشق منهزمين تاركين مئات القتلى،[١٠٩] وقد قام نور الدين بضم دمشق إلى مملكة حلب، وتصدى لحملة صليبية قادها (راتراند بن الفونسو) صاحب طليطلة وهو من ملوك الأسبان الذين قدموا مع الحملة الصليبية الثانية، وتمكن نور الدين والمجاهدون معه من أسر ابن الفونسو ووالدته وهما من أهم زعماء الحملة الصليبية الثانية من ملوك أسبانيا، وتم ترحيلهما أسرى إلى حلب،[١١٠] كما تمكن نور الدين من هزيمة الروم في عدد من المواقع بالقرب من حلب سنة ٥٤٣هـ حيث قتل جماعة كبيرة منهم وأسر جموعًا أخرى، ومنذ ذلك الوقت أصبح المسلمون في بلاد

(١٠٨) ابن واصل: **مفرج الكروب**، ج ٢، ص ١١١. وانظر: وليم الصوري، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج ٢، ص ٧٥٤.

(١٠٩) وليم الصوري: **تاريخ الحروب الصليبية**، ج ٢، ص ٧٨٥.

(١١٠) ابن واصل: **مفرج الكروب**، ج ١، ص ١١٤. وانظر: د. مسفر الغامدي، **الجهاد ضد الصليبيين**، ص ٢٥٥.

الشام يسخرون من قوة الصليبيين، وبذل نور الدين جهودًا كبيرة في تنقية الصف المسلم، حيث وجه جهده لأهل التشيع والاسماعلية في البلاد الخاضعة له ومنهم من سب الصحابة وأبطل كلمة حي على خير العمل وما معها من زياداتهم في الآذان، وضيق عليهم فحاولوا التحالف مع الصليبيين ضده، كما قام نور الدين بدعم السنة دون التعصب لمذهب فقهي معين، فقد كان على مذهب أبي حنيفة، ومع ذلك ساعد في بناء مدارس للمذاهب الأخرى.(١١١)

وسعى ـ رحمه الله ـ لإزالة المظالم فبنى دارًا للعدل كان يجلس فيه يومين في الأسبوع للنظر في مظالم الرعية فخشيه الأمراء والقواد وأصبحوا لا يظلمون الناس شيئًا مما زاد في ترابط المجتمع المسلم.(١١٢)

وقد كان متواضعًا يعطف على العلماء والقُراء المحتاجين وينفق عليهم فقيل له في وقت حاجة لو قللت من النفقات واستعنت بها على الجهاد فقال: (والله إني لأرجو النصر بأولئك فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم كيف اقطع صلات قوم يقاتلون عني وأنا نائم في فراشي بسهام لا تخطئ واصرفها إلى من لا يقاتل إلا إذا رماني بسهام قد تخطي وقد تصيب ثم هؤلاء القوم لهم نصيب في

(١١١) انظر: د. مسفر الغامدي، **الجهاد ضد الصليبيين**، ص ٢٤٣.
(١١٢) الروضتين في أخبار الدولتين، ج ١، ص ١٣٦.

بيت المال أصرفه إليهم كيف أعطيه غيرهم)،[١١٣] وكان يعمد في كثير من الأحيان إلى تعويض ما يفقده المجاهدون من سلاحهم ومتاعهم في القتال ضد الأعداء في الوقت الذي كان يترك لهم نصيبهم من الغنائم،[١١٤] ونظرًا لحسن سيرته فقد أحبه الناس الواقعون تحت إمرته، والذين يحكمون من قبل أمراء آخرين ولذلك حرص بعض الأمراء على مسايرته.

خلال فترة عمل نور الدين حرص على توحيد الصف الإسلامي ولم يتوقف عن الجهاد.

وقد وقعت معركة كبرى بين نور الدين و(جوسلين) أحد أمراء الصليبيين حول حلب فهُزم نور الدين وقتل جماعة كبيرة من أتباعه وأسر حامل سلاح نور الدين وأصبح (جوسلين) يتهكم بنور الدين حيث بعث سلاح نور الدين إلى أحد أمراء السلاجقة وهو صهر لنور الدين وقال له: هذا سلاح زوج ابنتك وسيأتيك بعده ما هو أعظم منه، فتأثر نور الدين وأخذ يتصيد (لجوسلين)، فتمكن

(١١٣) انظر: **المصدر السابق** نفس الصفحة.
(١١٤) ابن واصل: **مفرج الكروب**، ج ١، ص ١٢٣.

من أسره وأخذه معه إلى حلب،[١١٥] وكان أسر وقتل (جوسلين) من أهم أعمال نور الدين التي ذاعت في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. وقد دخل نور الدين في صراع مع الصليبيين في مصر حيث حاول إبعادهم عن السيطرة عليها تمهيدًا لضمها مع الشام لتصبح قوة واحدة في مواجهة الصليبيين.

كانت الدولة الفاطمية في مصر تمر بمرحلة ضعف والوزراء في الدولة هم الحكام الفعليون والمسيطرون على الأوضاع في مصر، والصراع بين القواد على منصب الوزارة قائم على أشده، وسفكت في ذلك دماء كثيرة وكل منهم مستعد للتعاون حتى مع الصليبيين دون تورع للحصول على هذا المنصب، وقد استنجد أحد الوزراء بنور الدين وطلب إرسال الجند معه إلى مصر لمساعدته على استعادة منصبه مقابل أن يعلن ولائه لنور الدين، وقد تردد نور الدين في ذلك نظرًا لخطورة الوضع على الجبهة مع الصليبيين، ونظرًا لأن الصليبيين في مملكة بيت المقدس خصوصًا سوف يتدخلون في مصر وسيجدون من يساعدهم من الخونة، وستفتح

---

(١١٥) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج ١٢، ص ٢٣١٢. وليم الصوري، **تاريخ الحروب الصليبية**، ج ٢، ص ٧٩٣. وانظر: د. مسفر الغامدي، **الجهاد ضد الصليبيين**، ص ٢٥٩.

على نور الدين وأجناده جبهات أخرى تفرق قواته، وفي الوقت نفسه كان نور الدين يرغب في توحيد مصر والشام ووجود قوة إسلامية فيها تعيد لمصر شبابها وتربطها بالصف الإسلامي الصحيح بعيدًا عن المتعاونين مع الصليبيين من الباطنيين، وبعد تردد شديد قرر نور الدين مساعدة الوزير على استعادة منصبه المفقود بإرسال قائد من قواده وهو أسد الدين شيركوه مع مجموعة من الجند قدرت بألفي مقاتل ويصاحبه صلاح الدين الأيوبي ابن أخ أسد الدين شيركوه، الذي بدأ يبرز كفارس من فرسان الجهاد، خاضت تلك الجيوش معارك مختلفة مع الصليبيين والمتعاونين معهم إلى أن أصبحت قوات نور الدين هي المسيطرة الفعلية في مصر لقائد من اخلص قواد نور الدين، وأصبحت أجناد مصر وممتلكاتها ودولتها كاملة بيد المجاهد نور الدين محمود بطريقة مباشرة لضعف الفاطميين، وبعد أشهر عين صلاح الدين الأيوبي وزيرًا للفاطميين،[١١٦] ثم تمكن من إنهاء الدولة الفاطمية بإلحاح وإصرار من نور الدين رحمه الله وبدأت مصر بل والعالم الإسلامي بأسره مرحلة جديدة من الجهاد ضد الصليبيين الذين كانوا أكثر الناس إحساسًا بهذا التغير.[١١٧] وقد حاول نور الدين أن يقوم

(١١٦) ابن واصل: **مفرج الكروب**، ج ١، ص ١٦٨.
(١١٧) وليم الصوري: **تاريخ الحروب الصليبية**، ج ٢، ص ٩٣٦.

بحملة على الصليبيين بالتنسيق مع صلاح الدين، وطلب منه الإعداد لذلك ونمّى فيه حب الجهاد والعمل من أجله، حيث كان شغله الشاغل.[١١٨]

وذكر عنه أن أحد العلماء كان يقرأ بحضرته حديثًا عن التبسم فطلب منه بعض الحاضرين أن يبتسم، فرد عليهم نور الدين رحمه الله: (أني لاستحي من الله أن يراني مبتسمًا والمسلمون محاصرون بالفرنج).[١١٩]

توفي نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي ـ رحمه الله ـ في شوال سنة ٥٦٩هـ[١٢٠] بعد أن روى غرسة الجهاد التي غرسها والده، بدماء الشهداء وعرق المجاهدين وجراحهم وبعد أن غرس غرسة جديدة حملت راية الجهاد بتأسيس الأمور في مصر لصلاح الدين الأيوبي جندي جديد من جند الجهاد الإسلامي المقدس، والذي كان الفضل بعد الله في بروزه لنور الدين (رحمهم الله).

---

(١١٨) د. مسفر الغامدي، **الجهاد ضد الصليبيين**، ج ١، ص ٣٢٠.
(١١٩) ابن واصل: **مفرج الكروب**، ج ١، ص ١٨٢.
(١٢٠) ابن واصل: **مفرج الكروب**، ج ٢، ص ٢٥٨.

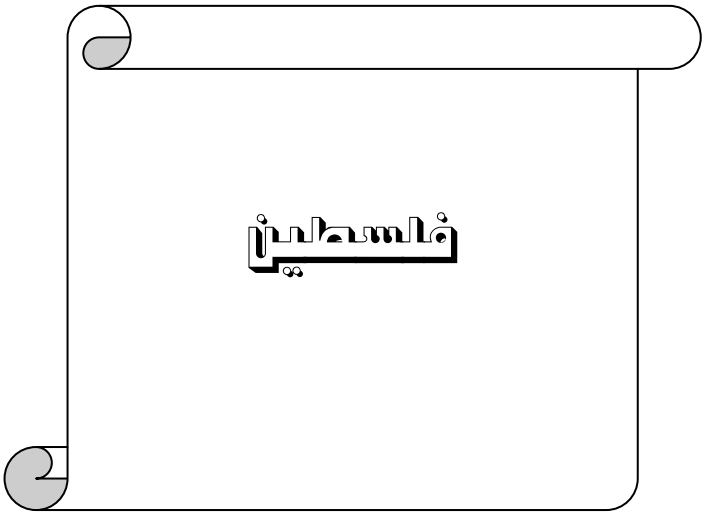
فلسطين

قتل السجود والتفرج المعهود

حدثت جريمة المسجد الإبراهيمي في الخليل يوم الجمعة الخامس عشر من شهر رمضان سنة ١٤١٤هـ، وذهبت قافلة من الشهداء قاربوا السبعين شهيدًا كانوا يؤدون صلاة الفجر بعد أن أصبحوا صائمين صبيحة ذلك اليوم، لم يكونوا يحملون سلاحًا ولا حجارة ولم يكونوا يمرون بطريق إنما كانوا يؤدون الصلاة لله في بيت من بيوت الله بعد أن أصبحوا صائمين لله، فهم بإذن الله من الشهداء الذين أحسن الله لهم الخاتمة فقتلوا وهم سجودًا له تبارك وتعالى، ولكن الأحياء أبدانًا والميتى القلوب من عرب اليوم ومسلمي النوم الذين يكتفون بالتفرج ويحرصون في المفاوضات على دور المهرج ما موقفهم أمام الله سبحانه وتعالى مما حدث لهؤلاء، لقد بدأ أرباب السياسة محاولة استغلال الحادث لأنفسهم وخصوصًا من بعض الطوائف الفلسطينية التي لا تعرف طريق المساجد وتتظاهر بالبكاء لموت الساجد ثم تضع يدها في يد من أعطاه الرشاش ودربه على قتل المسلمين والعرب دون تمييز أو إحساس، إن هذه المذبحة التي جرت لا يكفيها الاستنكار والاحتجاج لان ملفات الاحتجاج عند العرب لم تعد تتحمل أوراقًا أخرى في تصوري حيث أنها مليئة تمامًا لدرجة التمزق وتناثر

بعضها. إن القاتل طبيب يهودي أمريكي تربى في أزقة وشوراع بروكلين في نيويورك ويحمل الجنسيتين الأمريكية والإسرائيلية في وقت واحد، عمل في المستشفيات الأمريكية بعد تخرجه من جامعة نيويورك.

بعد جريمة القتل مباشرة احتفل يهود إسرائيل ويهود نيويورك في وقت واحد بالحادث وفرحوا بسيلان دماء الشهداء، وصرح بعضهم أن هذا ما يجب أن يفعل بالفلسطينيين منذ زمن، في الوقت نفسه تظاهرت حكومة إسرائيل بأن ما حدث لم يكن بموافقتها ولا بعلمها، مع العلم أن هؤلاء المحتفلون هم الذين ينتخبون الحكومة الإسرائيلية ويسقطونها متى أرادوا ذلك فهي من طينتهم وممثل لهم، كما أن أسلحة هذا الرجل وغيره من المستوطنين توزع عليهم من مستودعات الجيش الإسرائيلي لمثل هذا العمل، وليس مستغربًا أن يتهموا الجاني بأنه غير عاقل والحق أن كره هذا الرجل وأمثاله من يهود للعرب والمسلمين يفقدهم عقولهم فلا تستطيع الحكومة الإسرائيلية أن تعتبره من العقلاء، مع أنه طبيب متخصص وذو رتبة عالية في الجيش الإسرائيلي، وإني لأتساءل هنا ما الذي سيحدث في العالم لو أن ما جرى كان ضد يهود في معبدهم أو نصارى في كنيستهم، مع أن المسلمين وأخلاقهم لا تقر

ذلك، لقد كان الوضع ولا شك سيتغير حتى لو كان القتيل شخصًا واحدًا.

جرى ما جرى والعرب وغيرهم يبحثون السلام والفلسطينيون يتساءلون سلام من إذا كان يفعل بنا مثل هذا سلام من إذا كان اليهودي يحمل رشاشه في كل مكان والفلسطيني لا يحمل حتى (سكينة البصل) خارج منزله ليدافع عن نفسه، وتصر إسرائيل على حمل المستوطنين للسلاح في كل أوقاتهم.

إن ما جرى ولاشك سيساهم في يأس الفلسطينيين من نتيجة المفاوضات، مع أن كثيرًا منهم يعلمون نتيجتها مقدمًا، (وهو حرص إسرائيل على رفع المقاطعة العربية عنها لتتمكن من التوغل اقتصاديًا، ومن خلال ذلك فكريًا وسياسيًا في العالم العربي) ولا شك إن ما جرى في الخليل لن يتوقف عند هذا الحد، فقد يقدم بعض اليهود بأعمال مشابهة ليصيبوا المسلمين باليأس أو يدفعوا بعضهم للهجرة.

وتتحدث وكالات الأنباء العالمية عن أن ما جرى سيؤثر على المفاوضين الفلسطينيين، إذ أن استمرارهم في المفاوضات على ما هي عليه من تنازلات وفشل في وقت يقتل فيه الفلسطينيون بهذه الطريقة محرج لهم، ولن يجعل لأي اتفاق يتم معهم أي أرضية على

الساحة الشعبية الفلسطينية، وهذا بالطبع سيؤثر على موقف الدول الكبرى بل وحتى إسرائيل نفسها من الوفد الفلسطيني ومنظمة التحرير وحكومتها خصوصًا أنها لا تزال حكومة منفى في اصطلاح السياسيين، ولو حدث مثل ذلك ضد يهود لانقلب الوضع عند المفاوضين الإسرائيليين، ولاشك أن ما حدث مصيبة ليست على الأموات وأهلهم فقد أحسن الله خاتمتهم ولكنها مصيبة على الأحياء أبدانًا الميتي القلوب من عرب اليوم، وأما اليهود وإعلامهم العالمي فهم مستعدون بمناسبة ذبح هؤلاء المصلين بتذكيرنا بقتلى النازية قبل خمسين عامًا فأي نازية أشد من هذا وصدق الله العظيم: ﴿**لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ**﴾ الآية (١٠) [التوبة]، والله المستعان.

❁❁❁

فلسطين واحتلال الكويت

حينما نطلع على مجريات الأحداث في أزمة الخليج بعد الاحتلال العراقي للكويت نجد مواقف متشابكة ومتقاربة فالبعض يحاول أن يربط بين الاحتلال العراقي وبين قضية فلسطين ويحاول أن يربط ذلك العمل بالانتصار لقضية فلسطين دون الإمعان والتفكير الجاد والعملي بنتيجة هذا العمل على قضية الإسلام في فلسطين، وبحسابات بسيطة يمكننا أن نستنتج أن فلسطين والفلسطينيين قد خسروا باحتلال الكويت خسارة كبيرة يصعب على المفكر حسابها وتقديرها، ويجد نفسه مندهشًا إزاء ما يصور عن الفلسطينيين وموقفهم مع احتلال الكويت، على المستوى الشعبي والرسمي وذلك من خلا ل ما يرى في وسائل الإعلام من تصوير لذلك الموقف، ولعلي لا أعدو والحقيقة إن قلت إنه مبالغ فيه وإنه محاولة من الإعلام العالمي للإساءة للفلسطينيين وقضيتهم التي هي قضية المسلمين جميعًا ومنهم شعوب الخليج، ويمكننا أن نلخص خسارة القضية الفلسطينية باحتلال الكويت بالتالي: ـ

١) أن اليهود قبيل الاحتلال العراقي قد نشطوا في تهجير اليهود السوفيت بأعداد رهيبة إلى فلسطين المحتلة، ولذلك فإن احتلال الكويت قد ألهى الشعوب العربية وألهى العالم كله عن تلك الجريمة بل وأشغل الفلسطينيين أنفسهم عنها على المستويات الشعبية والرسمية.

٢) من المعلوم أن معظم الدعم للانتفاضة الشعبية كان يأتي لأهلنا في الأرض المحتلة في الغالب من منطقة الخليج، سواء من أبناء الفلسطينيين العاملين في الخليج وعلى رأسهم العاملون في الكويت، أو من شعب الخليج بمنظماته الخيرية وكان من أنشطها ما كان يأتي عن طريق منظمات خيرية كويتية، توقف نشاطها تمامًا بعد الاحتلال العراقي للكويت، ولم نر أن العراق قدمت بديلاً لها، كما أن الدعم الشعبي القادم عن طريق الإغاثة في الكويت خصوصًا وفي الخليج عمومًا كان أكثر توجهاً وجدية في محاولة إيصال هذه المساعدات إلى من يحتاجها من الأهالي في فلسطين، والى المنظمات الصادقة في توجهاتها داخل الأرض المحتلة.

٣) إيجاد العزلة بين الشعب الفلسطيني المظلوم وبين شعوب الخليج، فقد كان أهل الكويت وأهل الخليج يتوقعون وقفة صادقة ممن ذاق مرارة الغربة والحرمان والاضطهاد من إخوانهم

الفلسطينيين الذي هم أدرى الناس بنتائج الحرمان من الوطن، فإذا بهم يفاجئون ببعض من ينتسبون إلى الفلسطينيين قائلين الآن تتحدثون بعد أن ذقتم وكنا قبلكم في الميدان إلى غير ذلك من عبارات الشماتة والتشفي التي لا يستفيد منها إلا أعداء الفلسطينيين خصوصًا والمسلمين عمومًا، الذين يحاولون إيجاد العزلة بين الفلسطينيين وبقية الشعوب وقد ساعد موقف المسؤولين في المنظمات الرسمية الفلسطينية على زيادة هذه العزلة وعلى زيادة الانفصام بين شعوب الخليج ومن معها وبين الفلسطينيين.

٤) تشويه صورة الفلسطينيين في العالم عمومًا وفي الغرب خصوصًا، بربطهم بصدام وبصورة صدام وقد ساعد على ذلك موقف الرسميين الفلسطينيين من صدام، فبعد أن كنا في الأشهر الماضية نلاحظ تعاطفًا ملموسًا مع الانتفاضة والقضية الفلسطينية قد بدأ يظهر في وسائل الإعلام الغربية، إذا بنا نفاجئ بعد الأحداث بربط الفلسطينيين بالمحتل صدام، وضاعت الجهود السابقة لإعطاء الفلسطينيين بعض ما يستحقون في الإعلام وبعد أن كان يظهر للناس أن الفلسطينيين مظلومون إذا بنا نراهم يصنفون بوقوفهم مع

الظالم، فلا بد من أن يرضوا بعد ذلك بأن يُظلموا وإلا فليسوا صادقين في دعواهم حين يقفون مع ظالم بأي زعم كان.

٥) إعادة التشريد لجموع كبيرة من أبناء الشعب الفلسطيني المسلم المقيم في الكويت، فكلنا نعلم أنه كان يوجد في الكويت ما لا يقل عن (٣٠٠) ألف فلسطيني كلهم تقريبًا شردوا وفقدوا أعمالهم بعد الاحتلال العراقي وقد أحس بذلك أهلهم في فلسطين أكثر من غيرهم.

٦) إشغال الفلسطينيين بقضية غير قضيتهم، فما لا شك فيه أن احتلال الكويت أشغل القيادات السياسية والشعبية الفلسطينية، كغيرها من قيادات العالم العربي، ولا شك أن انشغال الفلسطينيين في كل مكان بقضية الخليج كان أكثر من غيرهم.

٧) محاولة إيقاع اليأس والإحباط على الفلسطينيين حيث إن الكثير منهم قد تعلقوا بصدام بل تجد أن بعضهم يرون فيه المخلص الوحيد لقضيتهم، وبالتالي فهم يعلقون عليه آمالاً طويلة فإذا ما ضرب صدام وحطم جبروته فسيشعرون بخيبة الأمل، وسيساعد ذلك في بث روح اليأس لديهم، وإني لأظن أن دفع الفلسطينيين للتعلق بصدام جريمة كبرى ترتكب بحق الفلسطينيين إذ إن تحطيمه بعد ذلك سينسحب عليهم ويضربهم

معنويًا وماديًا، وإنني هنا إذ أكتب هذا الحديث عن الفلسطينيين وخسارتهم باحتلال الكويت، لم يكن يدفعني لذلك سوى الشفقة عليهم وعلى قضيتهم التي استغلت من قبل الأنظمة المختلفة وحتى الظالم منها لتكتسب شعبية في العالم العربي و كما أنني هنا أدعو أخواني الفلسطينيين إلى أعمال عقولهم، وعمل حساباتهم دون انفعال أو عاطفة، وأن لا تشغلهم قضية أخرى عن قضيتهم التي هي قضية أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله وليست قضية لأهل الإلحاد والعلمانية حتى ولو كانوا فلسطينيين وأذكرهم بأن هذه القضية لن تنتهي قبل ((أن يقول الشجر والحجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورائي فأقتله))[١٢١] أو كما قال ﷺ: فمتى كانوا مسلمين عباد الله فسوف يتحقق ذلك أما إن كانوا قوميين أو فلسطينيين أو خليجيين فقط فلن يتحقق ذلك.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يحرر فلسطين والمسجد الأقصى من كل يهودي وملحد وكافر ولا ديني وأن يجعلها في أيدي عباده المسلمين الصادقين.

❁❁❁

(١) انظر: **السيرة النبوية**، لابن هشام، (حجة الوداع).

صلاح الدين والتطهير

كتبت في مقالين سابقين عن القدس ومكانتها عند المسلمين أعادها الله إليهم، وذكرت شيئًا من تاريخها منذ فتحها أيام عمر ابن الخطاب ﷺ، ثم تحدثت عن وقوعها في أسر الصليبيين في القرن الخامس الهجري وما فعلوه بها وبأهلها المسلمين، وحديث اليوم موصول بما سبقه، وهو خاص بجهاد صلاح الدين الأيوبي واستعادته لبيت المقدس ومعاملته لأعداء المسلمين فيها عند انتصاره عليهم.

كان صلاح الدين ـ رحمه الله ـ مجاهدًا صادقًا بذل جهوده في إعداد القوة لمواجهة الأعداء، وشارك جنده بنفسه في الجهاد حيث كان في مقدمة صفوفهم.

وقبل أن يتوجه إلى بيت المقدس حرر العديد من المواقع في بلاد الشام وخصوصًا المواقع الساحلية التي يقدم الغزاة عن طريقها من أوربا واستدعى صلاح الدين الأساطيل الإسلامية المصرية للمحافظة على تلك المواقع الساحلية الهامة.

وعندما ضمن صلاح الدين حماية السواحل بالأساطيل الإسلامية ضد أي هجوم بحري متوقع توجه إلى بيت المقدس التي ازدحمت بالصليبيين، يقودهم بطريرك بيت المقدس، وكانوا يرون أن الموت أهون عليهم من استعادة المسلمين لها فالقدس كما هو معروف لها شأن كبير عند جميع الطوائف النصرانية.

كمن النصارى للطلائع الأولى من قوات صلاح الدين فأوقعوا بهم، ومع ذلك أصر المسلمون على التقدم إلى القدس، ووصلوا إلى أسوارها، وقد بقي صلاح الدين بنفسه ومع جنده خمسة أيام يدورون على المدينة يتحسسونها كالصقور، ويستقصون أخبارها ويراقبون مواقعها العسكرية الدفاعية ليختاروا المكان المناسب للهجوم، ثم نصبوا المنجنيق على جانب من المدينة، وفي المقابل نصب الصليبيون منجنيق داخل أسوار القدس كانوا يرمون بها المسلمين، وتقاتل الفريقان قتالاً شديدًا وكان شجعان الصليبين يخرجون كل يوم إلى ظاهر البلد ويقاتلون المسلمين، والحماس شديدًا بين الطرفين فبقدر ما كان الصليبيون حريصين على الاحتفاظ بالقدس لوازع ديني عندهم، كان المسلمون أشد حرصًا منهم على استرداد المدينة لوازع ديني أقوى، واستمات كثير من المسلمين في القتال طلبًا للشهادة عند أسوار القدس، وقد تحمس المسلمون في القتال حتى اضطروا فرسان الصليبيين إلى الاختباء

وعدم الخروج من المدينة ووصل المسلمون إلى الخندق، وتمكنوا من بدأ النقب في الأسوار في الوقت الذي كانت المنجنيقات تمنع الأعداء من الدفاع عن الأسوار، حتى يئس الصليبيون من جدوى دفاعهم وأحسوا أن القدس مأخوذة منهم وأن المسلمين لن يدعوها، عند ذلك بدأوا التفاوض مع صلاح الدين على تسليم البلد، فاستشار صلاح الدين العلماء والقوَّاد، فأشاروا عليه بتأمين الناس على أن يدفع كل واحد منهم مقدارًا محددًا من المال ويسمح له بالخروج آمنًا، ويعطي الناس مهلة أربعين يومًا لمن أراد الخروج منهم بهذه الشروط، وتم تسليم المدينة يوم الجمعة ٢٧ رجب ٥٨٣هـ الموافق ١١٨٧/١٠/١٢م.[١٢٢] وكان يومًا مشهودًا علا فيه صوت التكبير والتهليل والتحميد مختلف أنحاء القدس والمناطق المحيطة بها، وتوجه المسلمون إلى المسجد الأقصى وطهروه من بقايا عبث النصارى الصليبيين، وكانوا قد أقاموا في محرابه الخنازير إمعانًا في إهانة المسلمين، وتم تنظيفه وجمع ما حوله وأزيلت الأبنية التي قسموا بها المسجد وأعاده المسلمون كما كان وأنزلوا الصليب الذي وضعه النصارى على قبته، يقول أحد

(١) انظر: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج ١١، ص ٥٤٩. ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج ٢، ص ٢١٤. وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٢، ص ٣٢٣.

شهود العيان: (وكان على رأس قبة الصخرة صليب كبير من ذهب، فلما دخل المسلمون البلد يوم الجمعة تسلق جماعة منهم أعلى القبة ليقتلعوا الصليب فحين صعدوا نظر المسلمون إليهم وإلى الأفرنج لينظروا ماذا يصنعون، فلما قلعوه وسقط صاح الناس كلهم صوتًا واحدًا من البلد ومن ظاهره المسلمون والفرنج أما المسلمون فكبروا فرحًا وأما الفرنج فصاحوا توجعًا وتفجعًا فسمع الناس صيحة كادت الأرض أن تميد بهم لعظمها وشدتها)، وتم تجهيزه للصلاة في أول جمعة، وكان يومًا مشهودًا، حضره المسلمون من مختلف بلاد الشام القريبة ليشهدوا أول جمعة في الأقصى بعد تطهيره من شرك الصليبيين وشرهم، وذرفت دموع المسلمين وهم يشهدون هذا التجمع المهيب ويهللون ويكبرون ولربهم يتواضعون وصعد خطيب المسلمين منبر الأقصى وبحضور الفاتح صلاح الدين الذي جلس متواضعًا في صفوف المصلين كواحد منهم، وبدأ الخطيب خطبته بقوله تعالى: ﴿**فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ الآية (٤٥) [الأنعام].

وبعد هذا الفتح وفّى المسلمون للنصارى بعهودهم فأخرجوا من أراد الخروج بالمبلغ المتفق عليه، وبقيت كنائسهم على ما هي عليه سوى ما أخذوه من مساجد المسلمين، وقد خرج كثير من كبرائهم وقوادهم وأمرائهم بأموالهم ولم يدفعوا عن ضعفائهم،

وعلى رأس هؤلاء بطريرك القدس وجمع كبير من رجال الدين النصارى، وبذل بعض أثرياء المسلمين من أموالهم فدية عن النصارى.

وقد كان صلاح الدين ـ رحمه الله ـ رحيمًا بالضعفاء والأرامل وأعزة القوم الذين ذلوا فقد كان في القدس بعض نساء ملك الروم وقد ترهبت وأقامت به ومعها من الحشم والعبيد والجواري خلق كثير، ولها من الأموال والجواهر النفيسة شيء عظيم فطلبت الأمان لنفسها ومن معها فأمنها وسيرها بأموالها وبمن معها.

وكذلك خرجت زوجة ملك نصارى بيت المقدس، وكانت مقيمة بالقدس مع مالها من الخدم والجواري فاستأذنت السلطان في الاجتماع بزوجها الأسير عند المسلمين في نابلس فأذن لها فتوجهت إليه وأقامت عنده.وخرج البطريرك الكبير الذي للفرنج ومعه من أموال البيع والكنائس ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وكان له من المال مثل ذلك، فلم يعرض له السلطان، فقيل له: (خذ ما معه لتقوى المسلمين فقال: لا أغدر به)، ولم يأخذ منه سوى عشرة دنانير وهي ما يؤخذ من الأفراد العاديين.

وسير جميع من يريد الخروج من الفرنجة ومعهم من يحميهم إلى ميناء صور.

ويثني المؤرخون جميعًا غربيين وشرقيين، على الموقف النبيل الذي وقفه صلاح الدين أثناء فتح بيت المقدس ويتحدثون بإعجاب شديد عن توزيعه المال والدواب على المرضى والمسنين والمحتاجين من الفرنجة، وعن إكرامه النساء ورأفته بالأطفال ورعايته للضعفاء منهم ويشهدون بأن جنوده كانوا على غراره في المروءة والشهامة، فلم يقع في هذا الحادث التاريخي الخطير أي أمر من الأمور التي تقع عادة في مثل هذه الظروف على أيدي الجنود المنتصرين، والتي وقع كثير منها عندما احتل الفرنجة القدس.

وعُد هذا الفتح نعمة كبيرة من الله على المسلمين في جميع أنحاء العالم الإسلامي حيث عمت به البشرى ودعا الناس لصلاح الدين منذ ذلك اليوم ولا زالوا يدعون له وأنشد الشعراء قصائد عرفت بالقدسيات وتكلم الأدباء في هذه المناسبة التي أفرحت المسلمين في كل مكان، وكان مما قاله بعض الشعراء:

أترى منامًا ما بعيني أبصر

القدس يفتح والفرنجة تكسر

وقمامة قمت من الرجس

الذي بزواله وزوالها يتطهـــــر

ومليكهم في القيد مصفود

ولم ير قبل ذاك لهم مليك يؤسر

قد جاء نصر الله والفتح الذي

وعد الرسول فسبحوا واستغفروا

وقد أخذ صلاح الدين يشرف بنفسه على تنظيم شؤون المدينة المختلفة وفتح بعض المدارس ورتب المساجد وأئمتها ومؤذنيها وما يلزمها، كما اعتنى بإقامة الحق والعدل لجميع رعاياها من المسلمين ومن بقي فيها من النصارى.(١٢٣)

ونحن إذا ذكرنا أعمال صلاح الدين ــ رحمه الله ــ وقيم المسلمين وتأدبهم بآداب دينهم التي تمنعهم من الاعتداء وتأمرهم بالعدل نرى ما يجري للمسلمين على أيدي النصارى الصرب، وما جرى لهم على أيدي اليهود في الخليل ونقول وفاءً بغدر، وأن نصر الله لآتى ولن تعجز هذه الأمة عن أن تلد صلاح دين جديد بإذن الله يعيد القدس مرة أخرى إلى الإسلام ويرى العالم كيف يتخلق المسلمون بأخلاق الرحمة حال الانتصار، والله المستعان.

---

(١) راجع كتاب: **الفتوح الإسلامية عبر العصور**، للكاتب، ص ٢٨٩.

مقتل رابين والبعد الإسرائيلي

قتل رئيس الوزراء الإسرائيلي أثناء احتفال في تل أبيب لدعم عملية السلام، القاتل كما تقول وكالات الأنباء العالمية شاب يهودي من طلاب القانون في أحد الجامعات العبرية، سبب القتل هو معارضة القاتل وجماعة كبيرة من الشعب الإسرائيلي لعملية السلام، ومطالبتهم لرئيس الوزراء الإسرائيلي بعدم التخلي عن أي أراضى تحتلها إسرائيل، بل مطالبة ذلك القاتل ومن على شاكلته بأخذ مزيد من الأراضي من أيدي العرب لتحقيق حلم الشعب الإسرائيلي بإقامة إسرائيل الكبرى كما صرح بذلك المسؤولون الإسرائيليون وبالتالي فإن القاتل ينطلق من منطلقات دينية يهودية، ويزعم عدم إخلاص رابين لتلك المنطلقات، مع أن رابين كان يسعى ويبذل كل ما يستطيع لخدمة الشعب الإسرائيلي ودولته وانفتاحه على العالم العربي ليحقق الحلم الاقتصادي والسياسي الذي كان ينتظره.

وقتل رئيس الوزراء الإسرائيلي لا يعني انتهاء إسرائيل فالدول لا تنتهي بموت زعمائها بل يموت الزعماء وتبقى الدول، ويأتي زعماء

آخرين ربما ساروا على طريق من سبقهم دون تغيير، خصوصًا إذا كان أولئك الزعماء قد تولوا السلطة بعملية ديمقراطية كما هي الحال في إسرائيل، لن يحصل أي تغيير في الإستراتيجية السياسية للبلد وهذا هو المتوقع فإسرائيل ستبقى إسرائيل.

إلا أن عملية الاغتيال مؤشر خطير في حياة الشعب والمجتمع الإسرائيلي، إذ أنه ينم عن وجود خلافات قوية وحادة داخل إسرائيل حيال عملية السلام وحيال قضايا أخرى عديدة وخصوصًا بين الحكومة الإسرائيلية وبين بعض الجماعات الدينية اليهودية داخل إسرائيل، ومن المعروف أن إسرائيل دولة دينية قامت على العقيدة اليهودية التي تدعوا إلى العودة إلى أرض التوراة أرض الميعاد أرض الأجداد بالنسبة للشعب اليهودي كما يزعمون، وبالتالي فإن كل الحكومات الإسرائيلية السابقة منذ قيامها إلى الوقت الحاضر تراعي الجماعات الدينية اليهودية وتحسب لها ألف حساب حيث أن أي إغضاب لها يعني الهزيمة السياسية والخروج من الانتخابات، وقد كان القاتل نفسه سبق أن حاول اغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي رابين وحقق معه وأطلق دون ضوضاء خشية ردود فعل تضر بالوضع السياسي لرئيس الوزراء الإسرائيلي.

وما حدث يعتبر بداية مرحلة جديدة للشعب الإسرائيلي الذي كان خلال الأربعين سنة الماضية يظهر التلاحم والتماسك والتعاون

رغم أنه مكون من شعوب مختلفة وثقافات متضاربة، وقد أحس الإسرائيليون لأول مرة بوجود خطر كبير وانقسام خطير داخل شعب إسرائيل، بل وتحدث بعضهم عن خطورة حدوث حرب أهلية بين الشعب الواحد، وعن وجود تباين في الآراء عولج لأول مرة بالرصاص، وألمح بعض المسؤولين الإسرائيليين إلى أن العلاج بالرصاص كان من شيم العرب ومن أعمال العرب، أما الشعب الإسرائيلي كما زعم فهو شعب يحل أموره بالديمقراطية وبالحوار، وذكروا أن الحادث يشكل إزعاجًا وهمًا كبيرًا بالنسبة لهم ليس لمقتل رابين بل لهوية القاتل وطريقة القتل وأسبابه، بل إن بعضهم ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك وذكر بأن ما حدث قد يسبب إنقسامًا، وتحدث عن أن ما ينقذ الشعب اليهودي من الانقسام هو الدخول في معارك جديدة مع بعض الدول العربية تنسيهم الفرقة وتعيد توحيد صفوفهم.

وتحدث بعض السياسيين الاسرائيلين عن الصعوبات التي تواجهها إسرائيل في محاولة إقناع الشعب الإسرائيلي بالصلح مع العرب وأنه يستحيل إقناع الاسرائيلين بالانسحاب من الأراضي المحتلة، وإن على المفاوضين العرب أن يدركوا هذا الأمر وأن يستجيبوا للمطالب الإسرائيلية بالاحتفاظ بالأراضي المحتلة، وأن الضغوط الداخلية التي تواجهها الحكومة الإسرائيلية كبيرة جدًا

وأن رابين ذهب ضحية لهذا الأمر، وكأن المفاوضين العرب لا يواجهون ضغوطًا داخلية من شعوبهم، أو ربما لا قيمة لهذه الضغوط في نظر الإسرائيليين، لأن الحكومات العربية تضغط شعوبها بما يكفي بل ويكبت الآراء الأخرى..

التقارير عن الحادث كثيرة والإعلام الغربي اهتم للأمر وحشد كل طاقاته وإمكانياته للحديث عن الحادث، ومصلحة الحادث، وأن الشعب اليهودي في إسرائيل ربما خرج من مرحلة تأسيس دولته وهي مرحلة قوة وترابط وبدأ يعيش بعض التناقضات الداخلية ومع هذا فعلى العرب أن لا يتفاءلوا كثيرًا، والله المستعان وعليه وحده التكلان.